أمريكا والجماعات الإسلامية

تأليف

عادل الجوجري



المركز العربى للصحافة والنشر "مجد"

Arab Center Press and Publishing "MGD

٧١٥٥٨٣ - ٥٦٠٤٠٩٢

تنفيذ

خالد رشوان

إهـــداء :

إلى جيل إنتفض بعضه
فى فلسـطين..
والباقى ينتظر دوره

إهتمام أمريكا بمصر إهتمام قديم يعود الى نهايات القرن التاسع عشر، نظراً لموقع مصر الاستراتيجى فى المنطقة العربية، ومكانتها التاريخية والجغرافية، فمصر هى مفتاح الشرق وهى جسر العبور للسيطرة والهيمنة على المنطقة الزاخرة بالثروات الطبيعية خاصة النفط.

ولم تكن صدفة بأى حال أن أول إهتمام أمريكى بالمنطقة كان فى العام ١٨١٥ واتخذ صورة تبشيرية، حين عين المجلس الأمريكى الخاص بالبعثات التبشيرية الأجنبية ممثلين له فى القدس، وعهد إليهم بمهمة تكوين بعثة تبشيرية فى المدينة المقدسة (القدس).

وكان طبيعياً أن يواجه هؤلاء الممثلون عقبات سياسية ودينية، وقانونية لاحصر لها، إذ كان القانون العثمانى السائد فى ذلك الوقت يحرم أى نشاط تبشيرى للمسيحيين العرب، خاصة فى المدن التى تمثل رموزاً دينية، كالقدس.

وبسبب هذه العقبات، حولت الاستراتيجية الأمريكية إهتمامها بالمنطقة العربية ناحية التعليم، وكانت فى البداية من خلال مدارس الأحد، وافتتح المبشرون الأمريكيون أول مدرسة لهم فى بيروت عام ١٨٢٤، وتدريجياً أخذت هذه المدارس تنمو حتى وصلت الى الكليات والمعاهد العلمية.

وخلال الفترة ما بين ١٨٦٠ حتى ١٩١٠ افتتحت العدد من

الكليـات، وكان أهمهـا كلية ربوبرت (١٨٦٣) فى اسطنبـول بتركـيا، والكلية البروتستانية السـورية فى بيروت ١٨٦٦، وهى التى عرفت فيما بعد باسم الجامعة الأمريكية فى بيروت والقاهرة.

* * *

معنى هذا ان الإهتمام الأمريكى بالمنطقة العربية قديم للغاية، لكن هذا الإهتمام سيـأخذ أبعاداً جديدة بعد الحرب العالميـة الثانية، وخروج أمريكا الى الساحة العالمية كمـنتصر فى الحرب، لها طموحات فى وراثة المستعمارت البريطانية والفرنسية.

ومن ثم يحـدث الصدام الأول فى المنطقـة بين الحركـات العربـية التحريرية، وسياسة الهيمنة الأمريكيـة، وتستمر المعركة طيلة الخمسينات والستينات. الى أن تحرز أمريكا نصراً مـهماً - لصالح اسرائيل - يتمثل فى خروج مـصر من سـاحة الصـراع العربى - الاسرائيـلى من خلال اتفـاقيـات كـامب ديفيـد. وتأمين الأوضـاع من أجل فـرض الهيـمنة الصهيونية على المنطقة.

* * *

لكن الادارة الأمـريكيـة فوجـئت مع بداية الـثمـانينات بأحـدث عاصفـة فى الشرق الاسلامى، دفـعتها الى اعـادة النظر الى المنطقة من منظور حضارى ودينى له طباع كونى، عالمى، وليس اقليمياً فحسب.

فى خريف عام ١٩٨٠ كانت الثورة الايرانية أصبحت حقيقة واقعية، ودشن الاسلاميون مرحلة جديدة من النهوض والصحوة بإمتلاك السلطة فى واحدة من أغنى دول المنطقة. وأكثرها تبعية للولايات المتحدة الأمريكية.

ولم يمض عام واحد، إلا وكان الإسلاميون فى مصر قد اغتالوا رجل أمريكا فى المنطقة العربية، الرئيس أنور السادات فى مشهد دراماتيكى نقلته وسائل الإعلام العالمية، كشهادة على صحوة دينية جديدة فى المنطقة العربية، بدت شواهدها بعد ذلك فى تونس والجزائر والأردن واليمن، أما فى السودان فقد وصل الإسلاميون الى السلطة عبر تحالف مع چنرالات الجيش.

ومثل الإسلاميون الراديكاليون أهم تحدى حضارى وإستراتيچى لأمريكا التى شهدت هى الأخرى صحوة دينية، مسيحية منذ منتصف السبعينات تجسدت فى عشرات المنظمات المسيحية المتحالفة مع اليهود، رفعت شعارات حول «حضارة أمريكا المثلى».

ان الحركة الاسلامية بطبيعتها تحمل أيديولوچيا كونية، فالإسلام عقيدة دينية لكل البشر، تتجاوز حدود الزمان والمكان، وفى المقابل فان الولايات المتحدة سعت الى فرض أيديولوچيتها الحضارية كنمط كونى لكل البشر، وغلفت هذه الأيديولوچيا بطابع دينى تبشيرى فى أغلب الأحيان.

وهكذا يبدو المسرح السياسى العالمى - وعلى مدى استراتيجى - مرشحاً لنوع من الصراع بين الإسلاميين الراديكاليين، الطامحين الى الإستقلال ونشر الدعوة الإسلامية، وبين الولايات المتحدة الأمريكية الساعية الى فرض نفسها كقدر على العالم. وقطب أوحد، ونمط حياتى لايقاوم.

وربما كان البروفيسور الأمريكى صمويل هينتجتون أستاذ نظم الحكم فى جامعة هارفارد هو أكثر من رصد طبيعة الصراع المستقبلى فى دراسة له بعنوان «صدام الحضارات» أكد فيها «ان الصراع بين الغرب والإسلام ليس صراعاً مرحلياً، ولاهو مجرد تنازع أدوار، أو تضارب مصالح، بما يعنى إمكانية حله بالتفاهم، وإنما هو صراع حضارات، وهو بالتالى ليس وليد الأمس القريب، بل تمتد جذوره الى ١٣٠٠ سنة من عمر الزمان، بدءاً من فتح العرب المسلمين لأسبانيا مروراً بالحرب الصليبية، ثم الصراع العثمانى - الغربى، وحتى الخمسينات من هذا القرن حيث كانت أقطاب الصراع وعوامله ومسبباته تضم القومية العربية، وبعدها الأصولية الإسلامية الى جانب الصراع العربى - الاسرائيلى.

* * *

ان الصراع الحضارى فى مداه الاستراتيجى لايعنى بالضرورة تواصل الصراع عبر الحقب الزمنية، فهناك مراحل يحدث فيها تقارب

الى حـد التوافق فى اطار سـعى أطراف الصراع الى توظيـف بعضـها، واستـثمار أدواتها، والاسـتفادة من معطيـات مرحلية، كمـا حدث فى أفغانستان حين التقت مصالح أمريكا والحركات الإسلامية الراديكالية فى العداء ضد العدو الشيوعى الواحـد، لكن ما أن انتهى الموضوع الأفغانى حتى عاد الطرفان الى لغة الصـراع مرة أخرى، من دون أن يقطعا شعرة معاوية للحـوار أو التفاهم، كما حـدث فى الاتصالات التى جرت بين رموزاً إسلامية، وموظفين فى السفارة الأمريكية بالقاهرة. أو كما جرى عندما استقبلت الادارة الأمريكية الشـيخ عمر عبد الرحمن فى نيويورك وسمـحت له بالإقامـة. كمـا استقـبلت فى وقت لاحق الشـيخ حسن الترابى زعيم الجبهـة القومية الإسلامية كمحاولة لفـهم العدو البعيد عن قرب.

هذا الكتاب يهتم برصد العلاقة بين أمريكا والحركات الإسلامية فى مصر فى بعدها الإسـتراتيجى، ومعطياتها المرحليـة، مركزاً على الحراك الإجتماعى الـدينى بأبعاده السياسية فى الولايات المتـحدة، وانعكاسات هذا الحراك فى نظرتها الى العالم، لاسيما العالم الاسلامى، وفى ضوء غياب العدو الأيديولوچى الأبرز أى العدو الشيوعى.

ويبحث الكتـاب أيضاً فى نظرة الحركـات الإسلاميـة المصرية الى أمريكا من حيث الرؤى النظرية، والمواقف العملـية، مع الاستعانة بآراء رموز إسلامية عربية لها مكانتـها فى ساحة التنظير مثل راشد الغنوشى،

وحسن الترابى، ومالك بن بنى لتعميق الرؤية، والتأكد على مرتكزاتها.

وإهتم الكتاب بصفة خاصة بالتركيز على الصحوة الدينية المسيحية فى أمريكا، وعلاقتها بالقرار السياسى، لاسيما المتعلق بفرض اسرائيل كقوة عظمى مهيمنة فى الوطن العربى، وعلاقة المنظمات المسيحية بجماعات الضغط اليهودية. وجاء هذا الاهتمام بسبب اغفال معظم الباحثين والكتاب الذين تناولوا علاقة الولايات المتحدة بالوطن العربى بهذا الجانب، وتركيزهم على الدوافع الاستراتيجية والاقتصادية كمبررات لإهتمام أمريكا بلمنطقة العربية.

وانطلقنا من قناعة أساسية مفادها : يخطئ من ظن ان الكنيسة فى أمريكا لادور لها فى توجيه القرار السياسى، بسبب مايقال عن علمانية المجتمع الأمريكى والصحيح ان الكنيسة تحظى بدرجة عالية من الثقل والتأثير الى حد ان القرار الرسمى يتأثر بتوجيهاتها، بل انها تمتلك قدرة كافية لإنجاح مرشح فى الإنتخابات الرئاسية أوسقوط مرشح آخر. على النحو الذى حدث مع كارتر وريجان ومن بعدهما بوش وكلينتون.

ولم يكن «كينين» وهو واحد من أبرز القيادات الصهيونية الأمريكية المعاصرة مبالغاً حين كتب فى كتابه «خط الدفاع الاسرائيلى» يقول : «كانت الصهيونية أنشودة مسيحية قبل أن تصبح حركة سياسية يهودية»، فقد أكدت الأحداث على أن أحد أهم دوافع أمريكا فى إنتصار اسرائيل على كل العرب له خلفيات دينية، بعضها من قبيل

الخرافات التى روجت لها المنظمات النصرانيـة اليهودية، وآمن بها زعماء من نوع كارتر وريجان، من بينها مقولة «المجيئ الثانى للسيد المسيح عام ٢٠٠٠» و«نبوءة هرمجدون».

* * *

ويكشف الأستاذ محمد حسنين هيكل فى كتابه «خريف الغضب» : «ان مـجلس الكنائس العـالمى يعكس دون أدنى شك رغـبـة جهـات أمـريكيـة مـعـينة فى أن يقـوم الديـن بدور رئيـسى فى الصـراع، وان التحقيقات التى جـرت فى الكونجرس أثبتت أن مجلس الكنائس العالمى كـان من الجهـات التى حـصلت على مسـاعـدات ضخـمة من وكـالة المخابرات المركزية الأمريكية».

ويبقى أننا اعتمدنا قـدر الإمكان الموضوعية سواء فى عرض الآراء والإجتهـادات، أو فى تحليل المعلومات سعيـاً الى الحقيقة، وإسـتشراف المستقبل فى علاقة أمريكا والإسلاميين فى مصر.

================

تنصير أمريكا

فتحت واشنطن واخواتها من المدن الأمريكية الكبرى - فى منتصف السبعينات - نوافذها على صحوة دينية. مسيحية جديدة، تمثلت فى عشرات الجمعيات والمنظمات المسيحية التى ضمت ملايين البشر، واستهلت نشاطها بدعوات محلية لمواجهة الانحلال الأخلاقى، والاجهاض، والدعوة الى التمسك بتعاليم المسيح، لكن هذه الجمعيات سرعان ما دست أنفها فى العمل السياسى، الى حد أن جميع المرشحين للرئاسة الأمريكية من كارتر حتى كلينتون غازلوا هذه المنظمات الدينية، وتأثروا بها. وبما طرحته من أفكار وأساطير وفى الوقت الذى كانت فيه الحركات الإسلامية المصرية تخوض حرباً ضروس مع أنظمة الحكم، سعياً الى الوجود، فإن الحركات النصرانية الأمريكية وجدت نفسها فى قمة السلطة حين تطابقت آراء ومواقف الحكام الأمريكيين معها، بل ان هؤلاء الحكام كانوا فى حاجة الى مثل هذ المنظمات لكى تكسى خطابها السياسى بادعاءات دينية وأخلاقية، وأن تحمى قراراتها المناصرة لإسرائيل بمزاعم دينية وأخلاقية..

* * *

========

وتعتبر حركة «الغالبية الأخلاقية» بقيادة القس جيرى فلول هى أقوى حركة أصولية فى الولايات المتحدة الأمريكية، وتأسست فى العام ١٩٧٩، ويصفها د. مراد وهبه أستاذ الفلسفة بأنها «ليست حركة دينية، ولكنها حركة أخلاقية» ومع أنها ليست دينية إلا أنها تضم ٧٢ ألف قسيساً من بين ٤ ملايين عضو، وقد كرم مناحيم بيجين مؤسسها عام ١٩٨٠ بسبب مساندته لإسرائيل، ودعاه الرئيس ريجان لزيارته فى واشنطن عام ١٩٨٢، «ووعده ريجان فى هذه الزيارة بتعديل الدستور بحيث تصبح الصلاة إجبارية فى المدارس الحكومية».

وقد حدد فولول أن الغاية من تأسيس حركته هى غاية قومية، أى «العمل من أجل أمريكا وذلك بتأسيس شبكة دفاع قوية، وتدعيم دولة إسرائيل».

ويقول د. مراد وهبه : «الأصولية فى أمريكا لاتقف عند حدود نقد المجتمع الأمريكى، بل تتجاوزه الى نقد العلم الحديث والمجتمع الحديث».

* كيف ؟

يقـول د. وهبه : «ان العلم الحـديث المتمـثل فى نظرية التطور - بالنسـبة للأصـوليين الأمـريكيين - هى علم زائف لأنه يضـعف سلطة الإنجيل، لانه اذا لم يكن الله خالقاً للعالم فى ستة أيام، فسفر التكوين باطل، وإذا كان سفر واحد باطل فالأسفار برمتها باطلة».

والمدنيـة الحديثـة فى رأى الأصوليـين قد أقـرت البيـروقراطيـة، والبيروقراطية تضعف التـماسك البشرى، ومن ثم فهى ضد الدين الذى يقوى العـلاقات البـشرية، ولهذا فـشعارهم «خلق اللـه القرية، وصنع الانسان المدينـة»، والحركات الأصـولية الأمريكيـة ضد العلمـانية، واذا كانـت العلمانيـة هى سمـة التحـديث، فالأصـولية ضـد التحـديث، والمقصود بالتحديث فى رأى (دانيل بل) وهو عالم اجتماع أمريكى إنتقل حديثـاً الى التيـار الأصولى، أنه الابتعـاد عن سلطان الماضى، وتقلص مجال المقدس، والأخذ بالروح الفاوستية فى المعرفة الشاملة.

ومن الواضح أن الأصـوليـة الأمـريكيـة تبدو فـى غاية التـشـدد و«الرجعـية» فى نظرتهـا الى العلم والتحـديث، ويقول عـالم اجتـماع أمريـكى هو (بيتـر برجر) انتـقل الى الأصوليـة «أن التحـديث نوع من الهرقطة، وبالأخص فى العالم الثالث، لأن التحديث يهز القيم التقليدية التى تسـتند الى الـقدر، فـمنذ قـديم الأزل والجنـس والنسل مـرتبطان بالقدر، وجاء التحديث فأنكر القدر ودعا الى الإختيار».

وعلى رغم ان فرنسوا بورجا، والآن روسيو وهما باحثان فرنسيان مهتمان بالحركات الإسلامية فى الشرق العربى، ذهبا - فى حوار مع المؤلف - الى أن الحركات النصرانية فى أمريكا نفوذها محدود فى العمل السياسى، وأن نشاطها ذو طابع أخلاقى، ينصب على قضايا محلية تشهدها أمريكا، لاسيما نزوع كثيرين الى الإلحاد وإنكار الألوهية، فضلاً عن الشذوذ والإباحية، وإنتشار العلاقات غير الشرعية، إلا أن الوقائع تؤكد ان هذه الحركات هى التى دعمت رونالد ريجان وأوصلته الى تسلم الحكم فى نوفمبر ١٩٨٠، وكانت هذ الحركات هى التى ساهمت من قبله فى إنتخابه حاكماً لولاية كاليفورنيا عام ١٩٦٦ حيث استمر حاكماً لها لمدة ثمانية أعوام، أدت فيها مجلات الأصولية دوراً هاماً فى تحقيق الشعبية لريجان، حتى جاء فوزه بالرئاسة مجسداً لحلم الأصوليين فى السيطرة على حكم أمريكا برمتها.

وكان أبرز مقولات الجماعات النصرانية الأمريكية التى برزت فى النصف الثانى من السبعينات مقولة ان السيد المسيح سوف يعود مع نهاية الألفية الثانية لميلاده (عام ٢٠٠٠) لكى يخلص البشر من الآثام.. ومن هذا المنطلق دعت هذه الجمعيات عبر وسائل الإعلام واسعة الإنتشار الى تهيئة المسرح فى فلسطين لاستقبال السيد المسيح، بما فى ذلك أن يتواجد اليهود بأكثرية فى القدس مثلما كانت الأوضاع قبل أن يجيئ السيد المسيح.

هذه الفكرة التى كانت أحد دوافع الحملة الصليبية قبل ألف عام، آمن بها تماماً الرئيس الأمريكى الأسبق چيمى كارتر، ورددها فى خطبه الإنتخابية قبل أن ينتخبه الأمريكيون فى عام ١٩٧٦، بإعتباره رئيساً معمدانياً شديد الإيمان، جاء ليطهر البيت الأبيض من آثار خطيئة «ووترچيت».

* * *

رونالد ريجان

=======

وقد وصفت مجلة «التايم» الأمريكية الأوضاع المحلية فى عام ١٩٧٦ بأنه «عام الصحوة المسيحية فى أمريكا»، لكن الرئيس الأمريكى الذى نجح فى إقناع الرأى العام فى بلاده، بنجاحه فى تهيئة المناخ فى فلسطين لصالح اليهود من خلال الحصول على اعتراف رسمى من رئيس أكبر دولة عربية (السادات) بانهاء الصراع العربى مع اسرائيل، فشل تماماً فى إقناع الرأى العام الأمريكى بقوة بلاده فى مواجهة الثورة الإيرانية، التى تكللت بعملية فدائية (احتجاز الرهائن الأمريكيين) فى سفارتهم بطهران، وهى العملية التى خلفت مشاعر من الذل والعار للإدرة الأمريكية.

وراحت هذه المنظمـات النصـرانيـة تضغـط على المرشح الرئاسى الجديد رونالد ريجان الذى بدا أكثر أصوليـة من سلفه كارتر، وأكثر قوة فى إعادة السـيادة والاعتبـار للولايات المتحدة، وقد أعلن ريجـان أمام جمعـية الإنجيليين القوميـة عام ١٩٨٢ «لقد كان إعتـقادى دائماً أن هذا البلد المبارك قـد خلق بشكل خاص، وأن تصميـماً إلهياً شـاء أن يضعه هنا، فى هذه القارة الكبيرة بين المحيطان لكى يتـمكن كافة البشر الذين يشعرون فى الدنيا كلها بحب خاص للإيمان والحرية أن يعثروا عليه».

وفتح ريجان أبواب البيت الأبيض، والمؤسسات السيادية الأخرى، ووسائل الإعـلام للجمـاعات النصرانـية، التى استـغلت وجوده لتـمد نشاطهـا من الولايات الريفيـة فى جنوب البلاد، الى الأقليـات السوداء والأسبانية، والتوغل فى صفوف البروتستانت البيض «الانجلوساكسون»، ونمت وطورت هذه الجماعات شبكة وعظ وتبشير وتمويل هائلة عبر إقناع مليارديرات أمريكا بأنها «بوابة الدخول الى الجنة».

واستثمر رونالد ريجان هذا المناخ الأصولى المحيط به، والمكون من ٤ مليون انجيلى وقفوا خلفـه فى الإنتخابات، لكى يعلن أن عام ١٩٨٣ هو «عام الكتـاب المقدس». بعد أن كان قـد نجح فى دعم اسرائيل لكى تباشـر عدوانهـا على المفاعل الـنووى العراقى فى عـام ١٩٨١، وغزو بيروت عام ١٩٨٢.

نبوءة هرمجدون

=======

وبدا ريجان متمسكاً أكثر من سلفه بالتفسيرات التوارثية للصراع العربى الصهيونى، واذا كان كارتر آمن بمقولة «المجيئ الثانى للسيد المسيح» فان ريجان كان من أشد أنصار «نبوءة هرمجدون» وهى احدى أهم النبوءات التى تروج لها الجماعات النصرانية الأمريكية، وتقول : ان العصر الحالى محكوم بالشيطان، وان نهاية العالم قد إقتربت، حيث ستغزو الجيوش الروسية والعربية، والإيرانية والافريقية والصينية أراضى دولة اسرائيل، وستباد هذه الجيوش بفعل قنبلة ذرية، وسيموت نتيجة لذلك ملايين اليهود، أما الناجون منهم فسيتم انقاذهم لكى يقبلوا المسيح كمخلص لهم، وهؤلاء اليهود الذين قبلوا المسيح والمؤمنون به سوف يرفعون جسدياً الى السماء، ليتواجدوا فيها مع المسيح الذى يعود بعد ذلك بجيش من المؤمنين لمعاقبة غير المؤمنين، وتحطيم القوى المعادية له فى معركة الخير والشر المسماه «هرمجدون».

هذه الاسطورة آمن بها رونالد ريجان، وعلى أساسها قام بنقل العلاقات الأمريكية - الاسرائيلية نقلة نوعية لم تحدث من قبل، تمثلت فى التوقيع على إتفاق التحالف الإستراتيجى الأول فى ٣٠ نوفمبر ١٩٨١، والاتفاق الثانى فى نوفمبر ١٩٨٣، وحصلت اسرائيل - لأول مرة - على إمتيازات دولة عضو فى حلف الأطلنطى من دون أن تنضم له رسمياً.

السفارة المسيحية

=======

ووفر ريجان رعاية رسمية لأبرز منظمتين نصرانيتين متطرفتين وهما «السفارة المسيحية الدولية» و«جيل المعبد» والمنظمة الأولى خطيرة للغاية، فهى التى نظمت مؤتمر بازل الذى عقد عام ١٩٨٥، وهى أكثر المنظمات إنتشاراً ليس فى أمريكا وحدها وإنما فى الساحة الدولية كلها، وتأسست هذه المنظمة فى سبتمبر ١٩٨٠، حينما اجتمع أكثر من ألف رجل دين مسيحى، جاءوا من أكثر من ٢٣ دولة، فى مؤتمر عقد بمدينة القدس، بعيداً عن الدور المركزى لهذه المدينة المقدسة فى فكر وحركة الصهيونية المسيحية المعاصرة، كما جاء تأسيس المنظمة تعبيراً عن رفض القرار الدولى اعتبار القدس عاصمة موحدة أبدية لاسرائيل، وكرد فعل على قيام عدد من الدول بنقل سفاراتها من القدس الى تل أبيب.

ودشنت المنظمة أعمالها بافتتاح قنصليات لها فى أكثر من ٣٧ دولة فى القارات الست، وأخذ يدير هذه المكاتب رجال دين مسيحيون متعصبون، وممن يحملون مشاعر العداء تجاه المسلمين والعرب بشكل عام، والفلسطينيين بشكل خاص.

وقد اتخـذت منظمة السـفارة المسـيحـية الدولية، ولاية كـارولينا الشـماليـة مقـراً لها، ونشطت فـروعـها فى العـالم لجمع التـبرعـات لاسرائيل، وعقد المؤتمرات، وتسيير المظاهرات وحشدها، وبيع المنتجات الاسـرائيلية، وتنظيم الرحـلات السـياحـية اليـها، وممارسـة الضغـوط السياسية على صانعى القرار فى دول العالم لصالح «اسرائيل».

* * *

أرض فلسطين

=======

ويؤمن أعـضـاء وأنصـار هذه المنـظمـة بأن «الله قـد وهب أرض فلسطين لابراهيم وأبنائه مـن بعده» كمـا يعارضـون بشدة فكرة ممـارسة الضغوط على اسرائيل للإنسحاب من الأراضى العربية المحتلة، ويؤمنون بأنه على اسرائيل أن تمتد من نهر الفرات الى النيل.

ويقـول زعـيم هذه المنظمـة وهو رجل دين هولندى «ان اسـرائيل بحاجة الى الـضفة الغربية وغـزة لتوفير أمـاكن ليهود الإتحاد السـوفيتى للإستيطان فيه».

وحددت هذه المنظمة أهدافها فى منشور أصدرته فى عام ١٩٨٠ على النحو التالى :

١ - الاهتمام البالغ بالشعب اليهودى ودولة اسرائيل.

٢ - تذكير وتشجيع المسيحيين والكنائس للصلاة من أجل القدس وأرض اسرائيل وتحريضهم لممارسة التأثير فى بلادهم لصالح اسرائيل.

٣ - انشاء مشروعات اقتصادية واجتماعية فى اسرائيل.

ولخص زعيم هذه المنظمة أهدافها فى «اننا صهاينة أكثر من الاسرائيليين أنفسهم».

* * *

فرقة أغانى صهيون

=======

وتستخدم منظمة (السفارة المسيحية الدولية) شبكة واسعة من أجهزة الاعلام لنشر أهدافها وتثقيف أتباعها فى كيفية خدمة القضايا

الاسرائيليـة، فهى تصدر مـجلة اخبارية ربع سنوية بعنوان (المراجـعة)، بالاضـافـة الى عشـرات من الأوراق والنشـرات والبـيـانات الدورية، وأنتجت أفلام صهيونية، وشكلت لجاناً للعمل السياسى، ونظمت حملة مستمـرة من الرسائل البريدية الى صانعى القرار السـياسى فى عدد من دول العـالم، وصـارت تدعى لجـلسـات الاسـتـمـاع فى الكونجـرس الأمـريكى، وفى نفس الوقت رتبت حـملات لجـمع المال والدم دعمـاً لجنود اسرائيل أثناء غزو لبنان عام ١٩٨٢، وأنشأت فـرقة للغناء أسمتها (فرقة أغانى صهيون) وجمعت المساعدات المالية، وشجعت بيع السندات الاسرائيلية داخل الكنائس الأمريكية .

* * *

مواجهات فى فلسطن

=======

وقد حدثت مواجهات بين منظمة (السـفارة المسيحية الدولية) وبين مسيحيى فلسطين المحتلة، وفى مؤتمر صحفى عقده المطران ايليا خورى، عضو اللجنة التنفـيذية لمنظمة التحرير الفلسطـينية (الذى أبعدته سلطات

الاحتلال عام ١٩٦٩) فى نوفمبر ١٩٨٤ قال :

«ان وراء قيـام هذه السفارة مـجموعـة من المسيحـيين المهووسين، وباعتراف من القـيادة الصهيونيـة، وبتشجيع منها بدعـاوى الحفاظ على المصالح المسيحية فى فلسطين، واننى أؤكد ان المسيحيين هم براء من هذه المنظمة وعلى رأسهم المسيحيون العرب».

ان الصهيـونية المسيحية ليـست مجرد صلوات كنسية تدعـو لخدمة اسرائيل وسياستها كجزء من تحقيق «رضاء الله» كما يقولون، بل تشكل تياراً رئيسياً وبثقل شعبى لايجوز معالجته بالتجاهل أو بالتقليل من تأثيره وقوته، فقد وصلت رسالة الصهيونية المسيحية بفعل ما ملكته من وسائل اعلامية خصوصاً التليفزيون الى عقول وجيوب الملايين من الأمريكيين، مستثمرة بفعالية عالية مـا اتسمت به الثقافة الأمريكية فى عصر الصناعة من (صبغـة شخصيـة) و(تقنية) ونفذت الى خارج حدود الـكنيسة الى التأثير فى الفكر والثقـافة الشعبية، وسارت مع اليمين السـياسى (التيار الحاكم طيلة الثمانينات) فى أقوى دولة على الأرض.

* * *

البابا بولندى

=======

وهذا التيار المسيحى الصهيونى يشكل «هرقطة» دينية تسئ إلى المسيحية الصحيحة، وستؤدى الى حدوث صدام دينى فى القادم من السنين، خصوصاً مع تصاعد وتنامى حركات الانبعاث الدينى فى الوطن العربى والعالم الاسلامى. ومن هنا تحدثت فى الأعوام الأخيرة بعض الكتب والمؤلفات الأمريكية والأوروبية عن (صراع الحضارات) و(صراع الأديان)، وبدا واضحاً فى الخطاب الاعلامى الأمريكى لهجة عداء شديدة ضد الاسلام والمسلمين، بدت واضحة تماماً منذ ارتقاء الكاردينال البولندى كارول فويتيلا فى خريف ١٩٧٨ سدة البابوية، اذ اعتبرتها المنظمات النصرانية الأمريكية أول ضربة قوية وقاسية موجهة الى الأيديولوچية الماركسية، والمجتمعات اليهودية.

وكان مشيراً للغاية أن يعلن البابا إبان زيارته لمسقط رأسه (بولنده) كحبر أعظم عام ١٩٧٩: «هذا البابا آت ليتكلم أمام الكنيسة كلها وأوروبا والعالم عن هذه الأمم، وهذه الشعوب المنسية فى الغالب، إننى لأصرخ بصوت مدوى».

مؤتمر بازل

======

كان ذلك انقلاباً ذو أهمية كبيرة بالنسبة لما كان يطلق عليه قبل ذلك «كنيسة الصمت» فقد تحققت تطلعات الجمعيات النصرانية الأمريكية وهى ترى بأم العين إنهيار النظام الشيوعى فى بولنده، وتدمير الستار الحديدى، وإعادة الحاق الدول التى شكلت منذ عام ١٩٤٥ مايسمى «أوروبا الأخرى» أو المحيط الخلفى للإتحاد السوفيتى، الأب الروحى للدول الشيوعية.

وبعد هذا النجاح الساحق الذى حققته الولايات المتحدة فى أوروبا الشيوعية، أدارت ظهرها فى الحال الى فلسطين، وبعد ٨٨ عاماً من مؤتمر (بازل) وفى نفس المدينة، ونفس القاعة، إنعقد فى أواخر أغسطس ١٩٨٥، أول مؤتمر صهيونى مسيحى دولى، ضم أكثر من ٦٠٠ رجل دين مسيحى، هتفوا باسم وحياة اسرائيل الكبرى، وصلوا من أجل عاصمتها الموحدة الأبدية «القدس»، وقرروا الانتشار فى الأرض - بالدعوة والحركة - لخدمة وحماية وتكملة المشروع الصهيونى، باعتباره «ارضاء للرب». فى هذا المؤتمر تحدث رجل دين

أمريكى عن دور المسيحيين الأمريكيين فى دعم الحركة الصهيونية لتمكينها في فلسطين باعتبارها (أرض بلا شعب)، وكان ذلك قبل بلوغ هرتزل سن الرشد، وان أول جماعة صهيونية عملت على دعم دولة لليهود فى فلسطين قد أسسها كنسيون أصوليون فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٨٧، بزعامة القس (وليام بلاكستون)، حينما أنشأ فى شيكاغو منظمة أسماها (البعثة العبرية بالنيابة عن اسرائيل) ودعا لأول مؤتمر دولى لمناقشة (أوضاع الاسرائيليين ومطالبهم فى فلسطين كوطن تاريخى لهم) وقدم لهيرتزل نسخة من (العهد القديم) واضعاً خطوطاً وعلامات تحت النصوص التى تشير الى استعادة فلسطين، ولقد حفظت هذه النسخة فى ضريح (هيرتزل) بالقدس.

* * *

چيمس بيكر

=======

وفى منتصف القرن التاسع عشر ظهرت مجموعات كنسية أوروبية وأمريكية تنادى (بضرورة إستعادة اليهود للأراضى المقدسة، وأن اليهود

هم : «مفتاح الخطة للعودة الثانيـة للمسيح المنقذ»، وساهمت الصلوات والمواعظ والمؤلفات فى خلق جواً نفسياً ملائماً فى أوروبا، لولادة الحركة الصهيونية فى نهاية القرن التاسع عـشر، الوعد المشئوم، كسى إقتراحاته الرامية الى ايجـاد دولة للصهاينة فى أرض فلسطين بعبارات دينيـة، فقد كان من أشد أنصـار «النبوءة التوارثية بـتجميع اليهـود فى دولة اسرائيل بفلسطين» وقـد تلقنهـا - لأول مـرة - عندمـا كان طفـلاً فى احـدى الكنائس الانجيلية الأسكتلندية.

ويقول عنه (بيتر جرونز) فى كـتابه (اسرائيل فى العقل الأمريكى) : «لقد كان بلفور أكـثر فهماً من هيرتزل لطموحات الصـهيونية» وتقول عنه إبنة أخته ومؤرخة حيـاته (بلانش دوجديل) : «لقد تأثر منذ نعومة أظفاره بدراسة التوراة فى الكنائس».

وكان الرئيس الأمريكى ولسون مثالاً لهذه الصـهيونية المسيحية منذ طفولته، فقد نشأ وترعرع فى بيئة كنسية، فجداه كانا من رجال الكنيسة الإنجيلية المسيحيـة ورأى نفسه - من خلال خطبه العديدة - «بانه أعطى الفرصة التاريخية لخدمة رغبات الله بتحقيقه البرنامج الصهيونى». وكان التزامه بالصهيـونية، ودعمه لوعد بلفور عميـقاً جداً، يستند الى مزاعم

دينية فى المقام الأول، وهى مزاعم تتناقض مع الحقائق الاسلامية، بل وتتصادم معها.

* * *

• چيمس بيكر

=======

ويوضح الأستاذ محمد حسنين هيكل فى كتابه «خريف الغضب» أن علاقة الكنيسة بأجهزة صنع القرار فى أمركيا ليست وليدة السبعينات، وانما تعود الى الخمسينات، ويقول : «وفوق منصة الرئاسة يوم الافتتاح كان يجلس وزير الخارجية الأمريكى جون فورستر دالاس شقيق الرئيس لادارة المخابرات الأمريكية آلان دالاس الى جانب رئيس مجلس الكنائس العالمى، وكان مما قاله دالاس : ان نبشر بالمسيحية، فهذا معناه اننا نبشر بالحضارة الغربية».

ويقول د. غالى شكرى - وهو ناقد أدبى قبطى - فى كتابه «الأقباط فى وطن متغير» : انه فى ديسمبر ١٩٦١ عقد فى العاصمة الهندية «نيودلهى» المؤتمر العام الثالث لمجلس الكنائس العالمى، وأصدر

قراراً يبرئ اليهود من دم المسيح، ويحذر الكنائس من التعليم المعادى لليهود، وكان هذا القرار هو أداة الضغط الأولى على الفاتيكان ليصدر وثيقته الشهيرة فى تبرئة اليهود من دم المسيح.

ولتبيان أثر المنظمات النصرانية الجديدة على تشكيل وعى صناع القرار فى الادارة الأمريكية نعود الى ما صرح به وزير الخارجية السابق چيمس بيكر وهو مهندس عملية التسوية السياسية بين العرب واسرائيل، فى معرض سرده لقصة تنشئته الدينية فى تكساس : لقد احتلت دولتان على نحو خاص مكاناً فى ضميرنا، وهما الولايات المتحدة حيث نعيش، واسرائيل القديمة التى شهدت مولد الديانة المسيحية، ولذا فان اسرائيل تمثل جزءاً من القيم التى أعتز بها».

ان عقلية من هذا النوع تطرح بالضرورة سؤالاً حول الطريقة التى ستتعامل بها الإدارة الأمريكية - حالياً - أو فى المستقبل القريب مع الحركات الإسلامية التى تمل عقيدة دينية عالمية، ورؤى سياسية معادية للنظام الأمريكى.

هوامش

=======

١ - راسم الجمال (الاسلام والغرب بين الفجوة المعرفية والمواجهة الأصولية) مجلة (مستقبل العالم الاسلامى) العدد (٩) ١٩٩٣ .

٢ - محمد حسنين هيكل - خريف الغضب - القاهرة - ١٩٨٣ .

٣ - يوسف الحسن - المسيحيين الصهاينة - دراسة بمجلة العربى الكويتية.

٤ - د. نعمان عبد الرازق السامرائى - (اليهود والتحالف مع الأقوياء) - كتابة الأمة - قطر - مارس ١٩٩٢ .

٥ - تصريح جيمس بيكر لصحيفة الخليج - ٢١/٣/١٩٩١

٦ - لمزيد من التفاصيل حول علاقة الكنيسة بالقرار السياسى الأمريكى. يرجى العودة الى : د. محمد مورد - بحث بعنوان «الغزو الحضارى لا الطائفى) مجلة (منبر الشرق) القاهرة - العدد (٩) - ١٩٩٣ .

٧ - جيل كيبل - يوم الله - الحركات الأصولية المعاصرة فى الديانات الثلاثة - دار قرطبة - قبرص - ١٩٩٢ .

التوافق

قبل إغتياله بثلاثة أسابيع تحدث الرئيس الراحل أنور السادات فى مقابلة مع شبكة (ان - بى - سى) الأمريكية عن المساهمة المصرية فى الأحداث الأفغانية فقال : «دعونى أكشف لكم سراً، منذ اللحظة الأولى التى بدأت فيها الأحداث الأفغانية إتصلت بى الولايات المتحدة لكى نشارك فى دعم المجاهدين ضد الحكم الشيوعى فى كابول، وعلى الفور بدأت عملية شحن الأسلحة على متن الطائرات الأمريكية من هنا. . من القاهرة».

* * *

عقدة فايتنام

=======

كان ذلك فى سبتمبر ١٩٨١، وكانت الولايات المتحدة قررت أن تحول أفغانستان الى مستنقع تغوص فيه القوات السوفيتية على النحو الذى جرى من قبل للقوات الأمريكية فى فيتنام.

كانت عقدة فيتنام - لاتزال - مسيطرة على العقل الرسمى الأمريكى، وكانت روح الإنتقام من السوفييت طغت على كل تفكير.

ولخص عضــو الكونجرس تشارلز ويلسون هذه الحـالة عندما وقف يطالب أعـضاء الكونجرس بالموافـقة على تقـديم مزيداً من المسـاعدات للمجاهدين الأفـغان «للإنتقام من الروس فى أفغانسـتان لأنهم ساعدوا على قتل ٥٨ ألف أمريكى فى فيتنام».

وقد اضطرت الحكومة الأمريكية الى الإعـتراف بالمسلمين كقوة لها شأن عندما احتاجت اليهم لمواجهة الوجود السوفيتى فى أفغانستان.

واضطرت الحكومـة الأمريكيـة - أيضاً - للتـعاون مع الحـركات الاسلامية المعـتدلة والمتشددة، الأفغانية والعـربية. عندما لم يكن هناك بديلاً عن التعامل معهم للتخلص من الكابوس السوفيتى فى كابول.

وعلى أرض باكستان، فيما بعـد وأفغانستان حدث تلاقى المصالح بين المتناقضات، الحكومة الأمريكية من جـهة، والحركات الإسلامية من جهة أخرى، ووظفت أمريكا علاقاتها مع بعض الحكومات العربية، من بينها مصر لكى تلعب دوراً مباشراً فى تسهيل سفر المتطوعين الإسلاميين الى باكستان للجهاد ضد الحكومة الأفغانية الشيوعية.

ولأول مـرة تجد الإدارة الأمـريكية نفـسـها فى خندق واحـد مع حركـات الإسلام السياسى المتـشددة، بل وأن تقوم المخـابرات المركزية الأمريكية بالإشراف على معـسكرات تدريب المجاهدين الإسلاميين فى

باكسـتان، وأن تمدهم بأفضل مـا أنتجته المصـانع الحديثة الأمـريكية من صواريخ مضادة للطائرات والدروع «صواريخ ستينجر».

ورغم هذا التلاقى الغـريب، فإن الإدارة الأمريكيـة حافظت على علاقاتها الودية مع الحكومات العربية، وإستثمرت هذه العلاقات لتمرير عشرات المئات من المتطوعين الى أفغانستان.

* * *

الجهاد .. الجهاد

=======

كان المجاهدون الأفغان يحاربون ضد نظام سياسى مرفوض، لكن الولايات المتـحدة كـان لها هدف آخـر فى هذه الحرب، هى اسـتنزاف العدو السوفيتى فى معارك خارج الحدود.

وتمكنت الـولايات المتـحـــدة من توظيـف العـداء العـــقـيـــدى والأيديولوجى بين حكام بعض الدول العـربية والاتحاد السوفـيتى لدعم وتمويل حركة الجهاد الأفغانى.

وفى الوقت نفـسـه وظفت الولايات المتـحـدة حـالة الاسـتنفـار

الإسلامى على الصعيد الشعبى ضد القوات الشيوعية فى أفغانستان، وأعطى الاعلام الأمريكى، وبعض أجهزة الإعلام العربية للحرب الأفغانية طابعاً دينياً، وليس سياسياً.

وظهرت فى الجامعات المصرية لأول مرة شعارات تقول «ان الطريق الى القدس يبدأ من كابول»، ونشطت الجماعات الإسلامية لجمع متطوعين للجهاد فى أفغانستان.

ولم يقتصر أمر التطوع على مصر، فقد شمل دولاً عربية أخرى من بينها اليمن والجزائر وتونس وبعض دول الخليج.

وتطوع أثرياء العرب بالمال لتوفير سبل انتقال المتطوعين، فيما تولت الولايات المتحدة باقى المهمة.

* * *

السادات ضد الغزو

=======

وتتفاوت التحليلات والاجتهادات فى تفسير أسباب تطوع مئات، وربما آلاف الشباب من أعضاء الجماعات الاسلامية المصرية والعربية فى السفر الى بيشاور.

هناك إجتهاد يرى أن الطلائع من المجاهدين العرب الذين ذهبوا الى بيشاور، وانضموا الى كتائب المجاهدين الأفغان تحركوا بوازع دينى، لاسيما وأن المؤسسات الحاكمة فى عدد من الدول العربية من بينها مصر وقفت ضد الغزو السوفيتى لأفغانستان، وساهم الإعلام الرسمى - ربما دون أن يقصد - فى حشد الرأى العام العربى لمساندة الجهاد الأفغانى، فبعد يومين فقط من الغزو نشرت صحيفة (الأهرام) على صدر صفحتها الأولى خبراً رئيسياً «المانشيت» يقول : «مصر تدين التدخل السوفيتى فى أفغانستان وسياسة الهيمنة السوفيتية» مشفوعاً بعنوان آخر : «غالى يبلغ السفير السوفيتى فى جلسة ساخنة ان التدخل يعد خرقاً لميثاق الأمم المتحدة»[1].

وفى عدد (الأهرام) الصادر فى ٣٠ ديسمبر ١٩٧٩ كان مانشيت الصفحة الأولى : «اتصالات مصرية بدول عدم الإنحياز لبحث التدخل السوفيتى فى أفغانستان» وعنوان آخر : «المفتى يدعو المسلمين فى العالم لمساندة الثوار الأفغان ضد التدخل السوفيتى»[2].

ويتصاعد الموقف الرسمى المصرى المندد بالتدخل السوفيتى، وتستقبل القاهرة قيادات الجهاد الأفغانى : السيد أحمد جيلانى، والشيخ

صبغـة عثمان، والدكـتور رسول أمين، والقاضـى محمد نذير سـعيد، ورحمة الله موسى غازى، ومن بعدهم وصل للقاهرة السيد محمد بنى محمدى زعيم حركة «إنقلاب اسلامى أفغـانستان» واستخدمت صحيفة «الأهرام» تعبـير «الثوار الأفـغان» لوصف قادة المجـاهدين، وقالت فى ١٩٨٠/١٢/٢٧ : السادات للثوار الأفغان : سنقف معكم بكل ما فى الإسـلام من قـوة» وأردف قـائلاً : «واجب كل مـسلم مـسـاعـدة أفغانستان».

* * *

صواريخ وقنابل

=======

ورويداً، رويداً وصل التصعيد الرسمى والإعلامى فى تأييد ودعم المجاهدين الأفغان الى أن نشـرت الأهرام فى ١٩٨١/١/٤ خبراً بعنوان : «صواريخ وقنابل مضادة للدبابات هدية لقادة النضال الأفغانى».

وفيـما تقدمت المؤسسـات التابعة للحكومـة، ومن بينها الجمعـية التأسيسية لما كان يسمى «جامعة الـشعوب الإسلامية» بإقتراحات عملية

لدعم الجهاد الأفغانى، من بينها اقتراح خصم نسبة ٢٪ من المرتب أوالمعاش لجميع موظفى الدولة وفرض ضريبة (جهاد لصالح أفغانستان) فإن صحيفة «الأهرام» ذكرت فى ٩/١/١٩٨١ خبراً يقول : «١٢ ألف عامل يتبرعون بأجر يوم لمناضلى أفغانستان».

والمهم هنا ان حالة الحشد والتعبئة التى جرت بتوافق ارادات الحكومة ممثلة فى الرئيس السادات والجماعات الإسلامية كان دافعاً أساسياً فى حماسة مئات المتطوعين للذهاب الى أفغانستان، بوازع ضميرى دينى، وكان ملفتاً للنظر أن يقوم شباب الجماعات الإسلامية فى الجامعات المصرية بكتابة مقالات فى مجلات الحائط تحمل عناوين من نوع «الوصول الى القدس يبدأ من كابول» أى ان هذه الجماعات ربطت بين تحرير المسجد الأقصى، وتحرير أفغانستان.

وهذا الربط رغم ما فيه من شطط، إلا أنه يعكس الدافع الدينى الذى حث المتطوعين الإسلاميين للذهاب الى أفغانستان، طلباً للشهادة.

* * *

الهروب من الجحيم

=======

ولم يكن الدافع الدينى هو وحده الذى حرك مئات المتطوعين الإسلاميين على إمتداد الساحة العربية، فهناك دوافع أخرى، من بينها الهروب من قمع السلطات الحاكمة لقيادات التيار الإسلامى وعناصره الفاعلة.

كان العرب الأوائل الذين وصلوا الى (بيشاور) والتحقوا فى صفوف المجاهدين «لاجئين سياسيين» من دون أن يعلنوا ذلك، لانهم كانوا قد فروا من بلادهم، خصوصاً فى سوريا والعراق.

كان الاخوان المسلمون فى سوريا مشتبكين آنذاك مع الحكومة السورية فى معركة دامية جعلت منهم مصدراً للمجاهدين العرب، خصوصاً بعد الضربة التى تلقوها فى حماة عام ١٩٨٢ .

وتميز السوريون عن غيرهم من العرب بأنهم كانوا أصحاب خبرة عسكرية، وكثير منهم من ضباط الجيش فرحب بهم الأفغان لما وجدوا عندهم من علم عسكرى يحتاجونه، خصوصاً فى صفوف (الحزب الإسلامى) الذى يقوده قلب الدين حكمتيار، إذ كان الأنشط عسكرياً، فيما كان الشيخ سياف أميراً لإتحاد المجاهدين، ومنظراً أيديولوچياً

لجماعات المجاهدين.

ولم يكن الوضع فى العراق أسعد حالاً ففى السنوات الثمانى الأولى من الثمانينات، كانت العراق دخلت حرباً طاحنة مع ايران، ورأت الجماعات الإسلامية طاحنة مع إيران، ورأت الجماعات الإسلامية العراقية ان هذه الحرب اهدار لطاقات المسلمين، لانها حرب بين بلدين مسلمين، فيما يقوم (العدو الشيوعى) بغزو بلد إسلامى، ومن هنا هاجرت القوافل العراقية الأولى الى (بيشاور) هرباً من طغيان حزب البعث من جهة، ومن نار حرب تحرق المسلمين فى العراق وايران من جهة أخرى(٣).

أما فى مصر فكان الوضع مختلفاً : كانت الحكومة المصرية فى فترة هدنة مع الجماعات الإسلامية استمرت خلال الفترة من ١٩٨٥ حتى ١٩٨٧ - حسبما يقول منتصر الزيات - الذى فسر الهدنة التى توافقت مع تولى اللواء أحمد رشدى لوزارة الداخلية، بأن الحكومة أرادت أن تجرب بديلاً آخر للعنف الذى ميز علاقتها مع (الجماعة الإسلامية) منذ اغتيال السادات عام ١٩٨١، وما أعقبها من حملات اعتقال استمرت حتى نهاية عام ١٩٨٢، ثم حدث انفراج نسبى، حيث تم الأفراج عن عدد من المعتقلين الذين لم تكن صدرت ضدهم أحكام

قضائية، كما خرج عدد آخر من السجون بعد أن برأتهم المحكمة فى قضية تنظيم (الجهاد) وكان من بينهم الشيخ عمر عبد الرحمن(٤).

* * *

ساحة تدريب

=======

فى هذه الأثناء - يقول الزيات - كان القتال فى أفغانستان قد اشتد، وكانت المقاومة الإسلامية قد حققت انتصارات، فقامت اعداد من «الجماعة الإسلامية» بالسفر الى باكستان للإنضمام الى المجاهدين (سعياً الى تنمية القدرات القتالية لهذه العناصر).

وهنا نتوقف عند دافع جديد، من دوافع التطوع للجهاد فى أفغانستان هو اكتساب المهارة القتالية، وتنمية الخبرة العسكرية، والتنظيمية، ويؤكد عصام دراز مؤلف كتاب «العائدون من أفغانستان.. ما لهم، وما عليهم» ان الشباب العربى عموماً والمصرى خصوصاً كان يتوجه الى جبهات القتال مباشرة دون أدنى تدريب، اعتماداً على استعداده للمعركة قبلها بدقائق.

ويســوق (دراز) مثــالاً على عــدم كـفاية الخـبــرة العــسكرية عند المجاهدين العرب مؤكـداً على إستشهاد أكثر من عشــرة مجاهدين عرب فى معارك جلال اباد، عندما نصبوا خيمة فى ميدان القتال بجوار خيمة ممتلئـة بالذخيــرة، وعندما أغــارت الطائرات الشيــوعيـة قصــفت مكان الذخيرة، وكــانت النتيجة إستشــهاد أكثر من خمســة وثلاثين مجاهداً، منهم عشرة مجاهدين عرب دفعة واحدة.

وبطبيــعة الحــال، فقد زادت كـفاءة هؤلاء الشبــاب الذين أطلقت عليهم وســائل الإعلام - بعد الحــرب - لقب «الأفغان العــرب»، وقد انطلق هذا اللقب من الجزائر أولاً، عندما نقلت وكــالات الأنباء العالمية أخبــار عمليــات عنف قام بهــا إسلامــيون جـزائريون، اتضح أنهم من العائدين من أفغــانستان، فجاء الــلقب «الجزائريون الأفغان» متــسقاً مع الحــالة، وانتــشــر اللقب بعــد ذلك : الأفــغان المصــريون - الأفــغــان اليمنيون.. الخ.

ويعتبر د. نبيل عبد الفتاح الباحث الأكاديمى المتخصص فى شؤون الحركات الإســلامية ان تجربــة اشتراك أعضاء فــى (الجماعة الإســلامية) المصرية فى القــتال فى أغانستان مــثل نقطة تحول أساسيــة فى نشاطاتهم واسلوب تحركاتهم. وفى حــوار مع صحيفة (الحيــاة) اللندنية قال : «ان

قيادات الجماعة فى الخارج قامت باعداد برامج تدريبية على استخدام الأسلحة أثناء مشاركتها فى الحرب الأفغانية، اذ استطاعت الجماعة أن تشكل معسكراً خاصاً بها على الحدود الباكستانية - الأفغانية» ووجود نظام كودى بين أفرادها يجعل من الصعب ضبط عناصرها(٥).

* * *

الكرامات والخرافات

=======

على ان أغرب الدوافع التى برزت لتفسير ظاهرة التطوع شبه الجماعى لأعضاء فى الجماعات الإسلامية للجهاد فى أفغانستان هو ماذكره عصام دراز فى كتابه (العائدون من أفغانستان) وهى حكايات من وحى الخيال، ألف معظمها أول المجاهدين الدكتور عبد الله عزام لكى يحمس الشباب على القتال فى صفوف المجاهدين.

يقول دراز : «كانت النتيجة العملية الخطيرة هى تصور الشباب العربى القادم الى أفغانستان بأنهم سيشاهدون بالعين المجردة الملائكة وهم يقاتلون.. والقبور التى تشئ، وأنهار المسك والطيور التى تأتى

تحت أجنحة الطائرات».

ويضيف : «كان هذا الاعتقاد مأساة فى حد ذاته فلم يستطيعوا أن يستوعبوا حقيقة الأمر، وواقـعية البشر الذين طعنتهم الحرب بكل معنى الكلمة».

* * *

الإستراتيجية الأمريكية

=======

ان المأساة الحقيقية - فيـما أعتقد - ليست فى «الكرامات» ولا فى «ضعف الخبرة القتالية» أو «الخـلافات التى نقلها الإسلاميون العرب الى الجماعات الأفغانيـة». وإنما المأساة هى أن الادارة الأمريكية، وبالتحديد المخابرات الأمـريكية وظفت الشـباب المسلم وجـهادهم فى أفـغانسـتان لتحقيق أهداف الاستراتيجية الأمـريكية فى محاصرة النفوذ السوفيتى فى آسيا، وخنقه فى أفغانستان.

* * *

*** كيف توافقت أهداف الجـماعات الإسلاميـة العربية مع أهداف الإدارة الأمريكية؟**

يقول الكاتب الكبير محـمد حسنين هيكل : «أى واحد من هؤلاء - يقصد أعضاء الجماعـات الإسلامية - كان يستطيع أن يعرف ان الذى يدربه هو جهاز المخابرات الأمريكيـة، لكنه تغاضى عن ذلك فى سبيل الاسلام، كـان هناك ١٥ الى ٢٠ ألف شاب عـربى تعرضـوا الى هذه التجربة وعاشوها. . هل هؤلاء مجرمون أم ضحايا؟»(٦).

يرد هيكل : «أنا مستعد أن أقول انهم ضحايا» ولايستطيع أحد أن يدرك ماحدث من توافق (وليس اتفاق) فى الارادات، الا اذا اطلع على البيت الأمريكى فى هذه الأثناء.

* * *

المخابرات والمجاهدون

=======

كان رونالد ريجان دخل البـيت الأبيض فى يناير ١٩٨٠، وضمن مهامـه الرئيسية محاصـرة الاتحاد السوفيتى وتحطيمـه، وكان أول تقرير

تلقاه هو ما كتبه الأميرال تيرنر مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وجاء فيه (ان أهم جهد سرى تقوم به الولايات المتحدة فى العالم هو تقديم الدعم للمجاهدين فى أفغانستان).

ولم يكن ريجان فى حاجة الى من يحمسه لدفع العدو السوفيتى الى مزيد من التورط فى أفغانستان، كان الرئيس السابق چيمى كارتر قد بدأ عملية دعم المجاهدين الأفغان عن طريق باكستان وفرنسا، حيث استغلت الإدارة الأمريكية حادثة خطف وقتل السفير الأمريكى فى كابول أدولف دابس فى فبراير ١٩٧٩ على يد ميلشيات تنتمى للحزب الشيوعى الأفغانى، وبدأت فى تقديم مساعدات عسكرية وشبه عسكرية محدودة. لكن وصول ريجان الى البيت الأبيض دش مرحلة جديدة فى الدعم، اتسمت بالشمولية، وتوظيف امكانات أصدقاء الولايات المتحدة لتقديم الدعم للمجاهدين.

ووقع إختيار الرئيس الأمريكى على وليام كيسى لكى يترأس المخابرات المركزية، وبمجرد أن تسلم كيسى المهمة أبلغه نائبه جون ماكمن أن الرئيس أنور السادات «متحمس أشد الحماس لشحن الأسلحة الى المجاهدين فى باكستان على متن الطائرات العسكرية الأمريكية الموجودة فى مصر، لتقوم السلطان الباكستانية بعد ذلك بإيصالها الى

المجاهدين الأفغان».

وجرى تنسيق بين المخابرات المركزية ووزارة الخارجية الأمريكية لشن حملة ديبلوماسية معادية للإتحاد السوفيتى من جهة، ومحرضة للدول الاسلامية من جهة أخرى لتقديم دعم مالى وعينى للمجاهدين.

واستقر رأى وليام كيسى فى ربيع عام ١٩٨٠ على ضرورة تدريب الأفغان على القتل والنسف والتدمير بالتعاون مع ضباط فى المخابرات العسكرية الباكستانية، وبدأت عمليات التدريب فى معسكرين فى فرچينيا، وعسكر ثالث فى كنتاكى(٧).

* * *

كيسى فى القاهرة

وفى اطار ديبلوماسية توسيع الحرب الأفغانية واشراك أصدقاء أميركا فيها، زار القاهرة وليام كيسى فى أغسطس ١٩٨٣ لاجراء مشاورات مع المسؤولين المصريين لزيادة صفقات الأسلحة واشتراك خبراء مصريين فى تدريب المجاهدين، وطلبت الادارة الأمريكية من الادارة

المصرية أن تغض الطرف عن مئات المتطوعين المصريين الذين كانوا فى طريقهم الى مدينة «بيشاور» الباكستانية المتاخمة لأفغانستان للإنضمام الى المجاهدين.

وليس هناك أدنى شك فى أن الحكومة المصرية كانت على علم بأن المخابرات المركزية الأمريكية هى التى كانت تشرف على تدريب المجاهدين الأفغان فى باكستان.

وقد إعترف چورچ شولتز وزير الخارجية الأسبق فى مذكراته التى صدرت فى ابريل ١٩٩٣ «بأن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية هى التى كانت تشرف على العملية الأفغانية».

وعلى الرغم من أن الرئيس ريجان كان قد تعهد رسمياً أمام الكونجرس بعدم القيام بعمليات سرية قذرة، مثل الاغتيالات والتخريب، الا انه انتزع موافقة من أعضاء الكونجرس على رصد أموال للأفغان العرب فى بيشاور، مقتطعة من ميزانية المخابرات والتى تقدر بمليارى دولار، ورسا الانفاق السنوى فى حدود نصف مليون دولار، طيلة عشر سنوات(٨).

لقد نجح الثنائى ريجان ومن بعده بوش فى تحويل الدعم المالى للمجاهدين العرب فى بيشاور الى نوع من المؤسسة القائمة فى ذاتها،

والتى لها متعهدوها الميدانيون، وميزانيتها، ومكاتب اتصالاتها، وشبكات عملائها السريين الذين تجولوا فى المنطقة بحقائب رجال الأعمال، وأقنعة أخرى، وتم تكليف (وليام بالكى) الملقب بـ«السمكة الذهبية» تنظيم العمل مع ضباط باكستانيين وأمراء الجماعات الأفغانية، لتنشيط عمليات التطوع فى صفوف الحركات الاسلامية العربية، والانضمام الى المجاهدين فى أفغانستان.

وأصدرت المخابرات الأمريكية كتيبان فى فن القتال أشهرها كتيب «العمليات النفسية فى حرب العصابات» والذى ترجم الى عدة لغات، ووزع على نطاق واسع فى بيشاور، ويشرح فنون الاغتيال والعنف[٩].

* * *

زواج المصلحة

=======

ويقول أعضاء فى مكتب التحقيقات الفيدرالى الأمريكى ان «الأفغان العرب» فى الجزائر ومصر اكتسبوا خبرات ومهارات عالية فى نسف المبانى الضخمة باستخدام المتفجرات المنزلية الصنع، مثل مزيج

زيت الوقـوت مع الأسـمدة المؤلـفة من النـترات، وكـان تعلمـوا هذا الاسلوب فى معسكرات تدريب فى بيشاور، بل ان المحققين الأمريكيين ذهبوا الى القـول ان الانفجار الذى وقـع فى المركز التجـارى الأمريكى بنيويورك استخدمت فيه مواد متفجرة من نفس النوع.

على أى حال، لقد انتهى (الوفاق) بين الولايات المتحدة الأمريكية والمجاهدين الأفغان والعرب فى ١٣ سـبتمبر ١٩٩١ حين وقع بوش مع جورباتشـوف اتفاقـاً يقضى بتعليق أى مـساعـدات روسية أو أمـريكية للأفغـان، وهنا بدا ان نزع فتيل القنبلة الأغانيـة كان معقـداً فاصطدمت المخابرات الأمريكية مع الحكومة الباكستانية، ومع الحركات الأفغانية كما مع الأفغـان العرب، وكـانت المشكلة الكبرى مع باكـستـان حيث أزيح مدير المخابرات العسكرية الجنرال حميد جول الذى تولى الاشراف على الأفغـان العرب، وجرت مـحاولات لفك حلف المؤسسـة العسكرية - الأمنية مع فصائل المجاهدين، وبالذات «الحزب الاسلامى» الذى يتزعمه قلب الدين حكمتيار، وأسقطت بنازير بوتو، وخلفها نواز شريف الذى قدم ضمانات للمجاهدين العرب بعدم تسليمهم الى دولهم[١٠].

* * *

=======

وفى الجزائر وتونس والقاهرة، كـانت الحكومات اتخذت اجراءات مشـددة لتوقيف العـائدين من الأفغان، بعـد أن برزت دلائل قوية على تحول نوعى فى عمليات «الجماعة الاسلامية» و«الجهاد» لجهة كفاءة تنفيذ بعض عملـيات العنف والاغتـيال، ووجود دلائل علـى أن منفذى هذه العمليات من الذين حـصلوا على تدريبات فى أفغانسـتان، وربما كانت محـاولة اغتـيال وزير الداخليـة السابق اللواء عـبد الحليم مـوسى على كـورنيش النيل، والتى أسـفـرت - بالخطأ - عن مـصـرع د. رفـعت المحجـوب رئيس البرلمان فـى خريف عام ١٩٩٠، هى أهـم المؤشرات على وجود خطر مـستقبلى يحـمل عنوان «الأفغان المصريـين»، سرعان ماثبت صـحته على الصـعيد الأمنى عبـر عمليات عنف لم يسـبق لها مثيل، سواء فى كـميتها أوكيفـية تنفيذها، شهدتهـا الساحة المصرية فى الأعوام الأربعة الأولى من التسعينات، وفى باكستان دفع رئيس الوزراء نواز شريف ثمن التلكؤ فى تفكيك شبكات «الأفغان العرب» فى بيشاور بعد حملة ضغوط أمريكية، وتمكن الرئيس الداهية غلام اسحق خان من اغتياله سيـاسياً، كما أغتيل من قبل الجنرال محمـد ضياء الحق جسدياً بسبب دفع المؤسسة العسكرية الباكستانية نحو الأصولية.. وفى واشنطن

قرر مكتب التحقيقات الفيدرالى الأمريكى ارسال مجموعات من أعضائه الى بيشاور وإسلام أباد، بعد أيام معدودة من تفجير مركز التجارة العالمى، ووصلت المجموعة الأولى فى ٩ مارس ١٩٩٣، والثانية لحقت بها بعد اسبوع واحد، وكانت مهمة المجموعتين هى التحقيق فى التقارير التى أفادت بأن لـ«الأفغان العرب» فى باكستان علاقات قوية مع مجموعات إسلامية ناشطة فى الولايات المتحدة، وقدمت واشنطن دعماً مالياً مقداره ٣,٥ مليون دولار الى إسلام أباد بدعوى «دعم المجهود الباكستانى - الأمريكى لمواجهة الإرهاب». وتحرك «زوار الفجر» الباكستانيون لاعتقال أكثر من مائة مجاهد عربى على الرغم من الاعتراضات السياسية لحكومة نواز شريف التى كانت عبارة عن إئتلاف أحزاب إسلامية، والضجة الداخلية التى أثارها قادة قبائل «افريدى» المقيمة على الحدود الأفغانية - الباكستانية مؤكدين «ان الأفغان العرب ضيوف على منطقة القبائل» وإنتهت الضجة بعمليات ترحيل شبه جماعية للمجاهدين الأفغان وتفكيك معسكراتهم، وساهمت الولايات المتحدة الأمريكية بدور كبير فى هذا الترحيل لأنهم صاروا «تركة غير مرغوب فيها» على حد قول ريتشارد هاس مدير قسم الشرق الأوسط سابقاً بمجلس الأمن القومى فى عهد الرئيس جورج بوش.

* * *

هـوامـــش

=======

١ - عصـام دراز - (العائدون من أفـغانستـان) - الدار المصرية للنشـر والتوزيع - القاهرة ٩٣.

٢ - عصام دراز - مصدر سابق.

٣ - مجلة (الوطن العربى) الباريسية - العدد ٨٥٤ - ١٦/٧/١٩٩٣.

٤ - من حوار مع المؤلف.

٥ - صحيفة (الحياة) اللندنية ٣/٢/١٩٩٤.

٦ - مجلة (روزاليوسف).

٧ - مجلة (الوسط) اللندنية ٢٥/٢/٩٣.

٨ - مجلة (الوطن العربى) ١٦/٧/٩٣.

٩ - مجلة (الوطن العربى) ١٦/٧/٩٣

١٠- مجلة (الوطن العربى) العدد ٨٥١ تاريخ ١٥/٢/٩٣.

التوافـق

*** لماذا اختـار الشيخ عمـر عبد الرحـمن نيويورك دون غـيرها من عواصم الغـرب لكى يقيم فيـها، على الرغم من انه زار لندن وسـويسرا وكوبنهاجن قل أن يستقر به المقام فى نيويورك؟**

هذا السؤال لـم يكن له أى معنى قـبل فبراير ١٩٩٣، فـفى ذلك الشهر وقع حادثان مهمـان أولهما : الزيارة التى قام بها الرئيس حسنى مبـارك لواشنطن للإلتقاء بالرئيـس الأمريكى الجديد بيل كلنتـون، فاذا بالإعلام الأمريكى يحول الشيخ عمر عبد الرحمن - قبل الزيارة وبعدها - الى نجم بالمعنى الإعـلامى، وزعـيم بالمعنى السـياسى، الى حـد أن الصحف الأمريكية وصفته بـ«خومينى مصر».

كانت مـصر وقـتهـا تشهـد أعنف درجات المواجـهة بين أجـهزة الشرطة، والجماعات الإسلامية بمختلف فصائلها، ووصلت المواجهة الى حد استـخدام الجماعات الإسـلامية لورقة (السيـاح الأجانب) للضغط على الحكومة، وجرت أكثر من عملية لاغتيال سياح أجانب فى الصعيد والقـاهرة والجيزة، وتـلقت القاهرة مـايفيـد ان فتـاوى ضرب السـياح الأجانب تـصدر من مسـجد السـلام الذى يؤم فيـه الشيخ عـمر عـبد الرحمن المصلين.

وأكد وزير الداخليـة حينئـذ اللواء محمـد عبد الحـليم موسى فى تصريحـات صحفية نشـرت فى ٢٨/١١/٩٢ : ان عمر عبـد الرحمن متورط فى العمليات الارهابية التى شهدتها مصر أخيراً، وان التحقيقات

مع المتهمين فى حادث الهجوم على أتوبيس السياح الألمان والذى وقع فى ٩٢/١١/١٢ كشفت تورط عمر عبد الرحمن فى الاتصال بقيادات التنظيم فى مصر لتنفيذ أعمال إرهابية.

وفى نيويورك كان الشيخ عمر يتحرك بحرية كاملة ويدلى بأحاديث فى الصحف العربية تتضمن آراء حادة عن الأوضاع الداخلية فى مصر، مركزاً على ضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية وقال فى حديث بثته وكالات الأنباء «ان الصراع بين الأمن والجماعات الدينية سينتهى على طاولة الحوار»، ونشط الشيخ عمر فى ذلك الحين، فى إرسال شرائط كاسيت الى عناصره فى الداخل، حيث جرى نسخها وتوزيعها على نطاق واسع، وتتضمن تعليمات محددة للتظاهر ضد الحكومة.

وعلى رغم قلق الأمريكيين والمصريين - مع بدايات عام ١٩٩٢ - من تصاعد نشاط عمر عبد الرحمن، الا ان أقصى اجراء اتخذته الادارة الأمريكية هو سحب بطاقة الاقامة الممنوحة له فى مارس ١٩٩٢، لكنه ظل يتحرك بمقتضى تأشيرة سياحية مدتها خمسة أعوام، كان قد حصل عليها من القنصلية الأمريكية فى الخرطوم، حيث وصل الى نيويورك فى يوليو ١٩٩٠.

واللافت للنظر ان السلطات الأمريكية كانت قد هددت الشيخ عمر بالطرد أو الترحيل الى بلاده، ليس بسبب نشاطه السياسى، وإنما بسبب وشاية عن زواجه من إمرأة أمريكية، والقانون الأمريكى يمنع تعدد الزوجات.

وزير الداخلية

=======

أما السلـطات المصرية فكانت فى مـأزق، فهى من جـهة إرتاحت لخروجه من البلاد، بدليل انه زار وزير الداخلية اللواء عبد الحليم موسى فى مكتبه، وحاوره قبل أن يصافحه آذناً له بالسفر. . كما انها تضايقت - بعد ذلك - لنشاطه الإعلامى المثير فى صحف أمريكا وأوروبا، أكثر من قلقـها لنشـاطه السيـاسى مع أنصاره فى مـصر، عـبر الإتـصالات الهاتـفية وشـرائط الكاسيت. . وأقـصى مافـعلته القـاهرة قبل فـبراير ١٩٩٣، هو اتصال أجـراه وزير الداخلية مع السـفارة الأمريكـية يطلب ايضاحـات عن سبب بقـاء عبـد الرحمن فى الولايات المتـحدة. وفى الواقع ان السفارة هى التى اتصلت - أولاً - بوزير الداخلية حسبما جاء على لسانه لمجلة (المصور) القاهرية، وقال : «عـمر عبد الرحمن أصلاً من الدقهليـة ويقم الآن فى نيوجيرسـى، وهو فى أمريكا بيلم فلوس، ويرسل تحويلات، ويبـعث بأشرطة تحمل خطبـاً ويوزع منشورات، هذا كله قلته للسفـارة الأمريكية فى القاهرة، وسألت مسؤولـيها عن السبب فى بقائه هناك، وهو على هذه الوضعية والأكثر من هذا إنه حصل على البطاقة الخـضراء ولايستطيع الأمريـكيون أن ينكروا هذا الكلام، لأنهم عندما طلبوا منا معلومات عنه، سألونا فى الأساس عما اذا كان متزوجاً أم لا، ويبدو ان هذا - الزواج - يخـالف القانون لديهم لأنه مـتزوج، فقلنا لهم، وأعطيناهم كل المعلومـات اللى طلبوها منا، وسألناهم نفس

السـؤال : لماذا تبـقـوه لديكم فى أمـريكا بـعد كـل ما أعـطيناكم من معلومات، وليه أعطيتموه البطاقة الخضراء، قالوا أصله رافع قضية، ولم تبت المحكمة فيها، وإحنا ناس بتحترم القانون. . ولانستطيع تجاوزه»[1].

وبطريقة لاتخلو من دعابة، أجاب فـرانك ويزنر السفير الأمريكى السابق فى القاهرة، وأحـد العاملين فى الخارجية الأمريكيـة حالياً على السـؤال نفـسه، فـقـال : «أوليس هذا أفـضل من أن يقـيم لديكم فى الفيوم. . لقد أرحناكم منه»[2].

هذه الراحة لم تدم طويلاً، ففى ٢٦ فبـراير ١٩٩٣ انفجرت عبوة ناسفة فى المركـز التجارى الأمريكى فى نيويورك، أسفـرت عن مصرع واصابة عـدد كبـير من الأمريكيـين، بعد شهـر واحد فـقط من دخول الرئيس الأمريكى الجـديد بيل كلينتون الى البيت الأبيض خلفـاً لجورج بوش، وفيمـا أشارت التحقيـقات الأولية الى عدد من المتـهمين العرب ينتمـون الى التيار الاسـلامى، وربطت التحـقيقـات - الأولية - بينهم والشـيخ عمـر عبـد الرحمن، فـان كلينتون أدرك فى الحـال «ان الخطر الداخلى المقـبل فى أمريكـا هو الإرهاب، وطلب من مسـاعديه اعـداد تقارير بالخيارات المتاحة لمواجهة الخطر الجديد».

* * *

=======

ومن ضمن الخيارات المتاحة التى قدمها الخبراء الأمريكيون للرئيس كلينتون «محاصرة النشاط الإسلامى المتدفق فى المدن الأمريكية الكبرى» وتلقى الرئيس الأمريكى تقرير يفيد أن حركات إسلامية متطرفة هى فى المرحلة قبل الأخيرة من تنفيذ خطة واسعة النطاق فى أمريكا تتضمن القيام بعمليات انتحارية ضد مقر المارنيز، ومبنى السفارة الأمريكية فى بيروت[٣].

وفى اطار هذه المعلومات والخيارات جرت عملية رصد ومراقبة مكثفة للعناصر الإسلامية الناشطة فى المدن الأمريكية، مع زرع جواسيس وعيون فى أوساطهم، كان من بينهم عماد سالم، وهو شاهد الإثبات الأساسى على المتهمين فى قضية تفجير المركز التجارى الأمريكى. وهو الشاهد الذى وصفه الشيخ عمر عبد الرحمن فى تصريحات صحفية بأنه «شيطان سيدخل النار»[٤].

فى وسط هذا المناخ جرى القاء القبض على الشيخ عمر عبد الرحمن، بطريقة «هوليودية» وتم توجيه اتهامات له بالتحريض على تفجير المركز التجارى الأمريكى. لكن اللافت للنظر انه خلال الفترة من تفجير المركز التجارى (فبراير ١٩٩٣) حتى القبض على الشيخ عمر عبد الرحمن سلطت وسائل الإعلام الأمريكية الضوء عليه، وربطت بينه

وبين المخـابرات المركـزية الأمـريكية، وعـادت بعض وسـائل الإعـلام الأمريكيـة الى الوراء تبحث عن وشـائج ارتباط بين الشـيخ والمخابرات الأمريكية، بدون أن تقدم دليلاً وافياً على ذلك.

* * *

المخابرات الأمريكية

=======

فـفي برنامجـه التليفـزيوني «نايت لاين» في شـبكة A.B.C ربط الصحفي الأمـريكي البارز تيد كابل بين الشـيخ والمخابرات بقوله: «لو لم يكن دخول عبـد الرحمن الى الولايات المتحدة من صـميم المصلحة الأمريكـية لما كانـت تأشيرة دخـول قد أعطيـت له، حتى وان كـان قد تعاون مع المخابرات الأمريكية من قبل».

وعلى نفس المنوال كـتب الصحـفي المعروف روبرت فعريومان في مـقال له بصـحيـفـة «فلايج فـويس»: «ان «السى - آى - إيه» رعت وخدمت عمـر عبد الرحمن وسمحت له بممـارسة نشاطه في الولايات المتحـدة، والآن فان هذا التـحالف غـير المقـدس إنفجر في وجـوهنا، وأبناؤنا يدفعون ثمنه باهظاً».

وفي توقيت واحد، فتحت الصحف الأمريكية والمصرية النار على الشيخ عمر عبد الرحمن واتهمته بالعمالة للمخابرات الأمريكية، وذهب الصحـفي الأمريكي جيـمس مورا الى القـول (ان المخابرات الأمـريكية

دبرت ووفـرت للشيخ عـمر كل شئ، من الشـقة الى المواصـلات الى العـمل فى مسـجد الـسلام، حـيث كان الشـيخ يلقى خطبـه النارية، محرضـاً مستمعيـه على دعم إخوانهم فى أفغانسـتـان لتنقية بلادهم من أذناب الشيوعـية.. وفى نفس الوقت كان الشيخ يدعـو مستمـعيه الى الثورة على النظام العلمانى فى مصر، وكـانت كل خطبه يلقيها تسجل وتطبع فى أشرطة وترسل على الفور الى مصر»(٥).

ولايبدى جاك بلوم وهو محقق قـانونى فى لجنة الشؤون الخارجية بالكونجـرس اعـتـراضاً علـى «أن تتحـالف المخـابرات الأمـريكيـة مع الشيـاطين» ولكن (بشرط أن لايصل الأمر الى حـد تهديد أولادنا على أيدى الإرهابيين).

واندهشت صـحـيـفـة (فـلايج فـويس) من صـمت المسـؤولين الأمريكيـين، وصبرهم على الـشيخ عمـر «رغم انه اتهم بقتل الـشيخ مصطفى شلبى وهو أحـد أعوانه، عندما اختلفا حـول كيفية اسـتخدام أموال التبرعـات»، ويبدو أن هذا الخلاف - كما تقول الصحـيفة - قد دفع عبد الرحمن - عبـر أعوانه - الى التخلص من الشيخ شلبى الذى وجد مقتولاً فى شقته بنيويورك(٦).

وشاركت فى الدهشـة اليزابيث هولتـزمان رئيسـة قطاع الأمن فى شرطة نيويورك، عندما بررت السلطات الأمريكية عدم القبض على عمر عبد الرحمن فـور وقوع حادثة تفجير المركز التـجارى الأمريكى بـ(عدم

كفاية الأدلة) اضـافة الى (ارتفاع تكاليف اعـتقاله كونه كفـيف ومريض بالسكر)، وقالت هولتزمان فى رسالة بعثت بها الى وزارة العدل، وهي أعلى سلطة قـانونيـة فيـدرالية فى الولايات المـتحـدة «ان هذا التبـرير سخـيف، وتشم منه رائحة التـواطؤ». وأضافت «ان الولايات المتـحدة ليـست هى الدولة التى تتـحجج بارتـفاع تكاليف شـخص يعـتبـر من الخارجين على القانون، ويمثل خطراً على الأمن الأمريكى».

وعلى هذا النحو سارت مقالات وتحـليلات أخرى تسعى الى اتهام الشـيخ بالعمـالة للمخـابرات الأمريكيـة، ولم يقدم سـوى الصحـفى الأمريكى چيـمس مورا ما اعتـبره قرائن وليست أدلة على العـلاقة بين الشيخ والمخابرات، وفى مقال له نشرته مجلة «الوطن العربى» الباريسية قال : لو ذهب الشيخ عمر عبد الرحمن الى السفارة الأمريكية بالخرطوم دون اجراءات مسـبقة، كأى شخص عادى تقـدم بطلب للحصول على تأشيرة سيـاحة، فان مصير طلبه سيكون الرفض، لاسـيما اذا أخذنا فى الاعتـبار الـعديد من النقـاط الحسـاسة، ومنهـا الدولة التى توجد بـها السفـارة، أى السودان، إذ أنه يصـعب على أبناء السودان أن يـحصلوا على تأشيرة دخول أمـريكا نظراً لإنخفاض مستوى المعـيشة، ناهيك عن موقف أمريكا من السودان بعد قيام ثورة الإنقاذ فى العام ١٩٨٩.

ويصل الصـحفى الأمـريكى چيمس مـورا الى نتيـجة قاطـعة بأن «تأشيرة الدخول كانت جاهزة للدكتور عبد الرحمن حتى قبل أن يذهب للسفـارة، وكما أكـدت مصادرى فى واشنطن، فـإن إتصالات تمت فى

بيشاور، ووزارة الخـارجية فى واشنطن تم بناء عليها منح تأشيـرة لعمر عبد الرحمن تحت بند (بناء على المصالح الأمـريكية) ويضيف الصحفى الأمريكى : وكان على القنصل فى الخرطوم أن يقبل الأمر الواقع، وأن يغمض عينيه عن شاشة الكمبـيوتر الموجودة فى كل سفارة، والتى تشير الى أسمـاء القيادات التى تؤيد العنف والإرهاب، وفى هذه الحـالة فإن القنصل لايملك الحق فى منـاقشـة الموضوع بتـاتاً، طالما جاء الأمـر من وزارة الخارجـية التى تمـلك السلطة العليا فى إعطـاء تأشيرات الـدخول أوعدم إعطائها».

* * *

الشيخ يرد

=======

إن لغطاً كـثيراً أثيـر حول سـفر الشـيخ عمـر عبد الرحـمن الى الولايات المتحدة، لكن الشيخ نفســه حاول أن يوضح دوافعه فى السفر خارج مـصر، وأسبـاب اختيـاره أمريكا دون غيـرها من بلاد الغرب، ولصحيفـة (عالم اليوم) القاهرية قال : لقد مكثت سـنتين محاصراً فى منزلى بالفـيوم، ومنعـتنى الحكومة من الخـروج، ومنعت عنى الزائرين والأهل والأطباء، ومن يصلح الثلاجة أو الأثاث المنزلى كان يعتقل، ثم اتهمتنى الحكومـة بقضية الشغب فى الفيـوم، وعرضت على المحكمة، والحمد لله حصلت على براءة، ثم حاولت البحث عن طريق للخروج،

وأخذت تأشيرة عمرة، وخاطبت رجال الأمن بأننى أود القيام بعمرة، ولعلهم قد ملوا منى فسمحوا لى بالسفر، وحصلت على حكم من مجلس الدولة بالسماح بالسفر، وعندما خرجت الى المطار كان ورائى من البيت للمطار ثلاث سيارات أمن، وفى المطار انتشر رجال الأمن، والحمد لله فرج الله عنى بالخروج، وذهبت للسودان ثم لباكستان ثم الى السعودية للحج، وبالنسبة لاختيارى لأمريكا كان منطقياً، ففيهما لاتمنع الكلمة(٧).

لكن الشيخ الذى خرج بموافقة وزير الداخلية، وبحكم قضائى من مجلس الدولة يبدى دهشته لأن الأجهزة الأمنية فى مصر منعت زوجته من السفر الى حيث يقيم، وهو يوضح ذلك بقوله : كلما ذهبت زوجتي للمطار للحاق بى أهانوها، وهددوها، ومنعوها من السفر، وكانوا منعوها من الحصول على تأشيرة الدخول الى أمريكا، وقد حصلت على تأشيرة دولة أوروبية، ولكنهم منعوها من السفر أيضاً، وحاولوا إثارة الحكومة الأمريكية ضدى، وأوجدوا تساؤلات حول شرعية اقامتى هنا، فعرضت حالتى أمام القضاء الأمريكى.

* * *

موقفه من أمريكا

=======

والشيخ الذى يقيم فى أمريكا هو نفسه الذى يدين السياسة

الأمـريكيـة ويقول : «إننـى موقن أن أمـريكا تريد أن تذل الـشعـوب الاسلامية، وأن تتحكم فيها، ولدينا ما يحدث الآن من حصار للشعب الليبى، كما أن أمريكا تحـاول اذلال الشعب المصرى، وكان يجب على الشعوب العربية أن تتحد وتقوم قومة رجل واحد ضد أمريكا»(٨).

ان آراء الشيخ عمر الحادة تجاه الولايات المتحدة لم تمنعه من الإقامة فيـها، والتجـوال، والقاء الخطب، كـما لم تمنع الولايات المتـحدة من استضافته - مقيماً - كما استضافت الشيخ حس الترابي محاضراً.

وينصح ريتـشارد هاس مدير قـسم الشرق الأوسط سابـقاً بمجلس الأمن القومى المحللين السياسيين بأن لايقرأوا ظاهر الأمور، أويحملونها أكـثر ممـا تحتـمل، وهو لايرى ازدواجـيـة في الموقف الأمـريكى المندد والمناهض للإرهاب، وإجراء اتصـالات مع جماعات وأشخـاص تنتهج العنف، لكنه يرى ان فريقاً فى الادارة الأمريكية أو بمعنى أدق (مدرسة) تنادى بالحوار مع رموز الجماعـات المتطرفة، على أمل اقناعها بأن تعدل من اسلوبها خصوصاً تلك الجماعـات التى لها حضور فى ساحات تهم الإدارة الأمريكيـة، وفى كل الحالات فإنه مـن المفيد التـعرف على هذه الجماعات والأشخاص بإقامة علاقة معها(٩).

فى إطار هذه النصيـحة التى هى فى الواقع حقيـقة، أبقت الإدارة الأمريـكية على مكتب «الجـهاد» المرخص له فى حى بروكلـين، احدى ضواحى نيـويورك، وكان قـد تأسس هذا المكتب فى مطلع الثمـانينات

لجمع تبرعات لصالح المجاهدين الأفغان، وتطور عمله بعد ذلك لتجنيد المتطوعين، وارسال المؤن والأجهزة، والأسلحة الى بيشاور حيث تتواجد جماعات المجاهدين الأفغان، «وحسب تأكيد بعض الناشطين فى المكتب فإن جميع نشاطاته جرت بعلم وكالة المخابرات الأمريكية، ويعمل المكتب حالياً لخدمة قضية البوسنة، لكن على مستوى أقل مما كان يفعل بالنسبة لأفغانستان، اذ قل الناشطون وأصابهم الخوف عندما انتهى كثيرون من اخوانهم فى السجن أو اتهموا بالإرهاب العالمى».. فضلاً عن عدم وجود دعم أمريكى لقضية البوسنة.

* * *

عملاء وجواسيس

=======

ويستنتج من حوار أجرته صحيفة (الحياة) اللندنية مع محمود أبو حليمة وهو أحد المتهمين فى قضية تفجير المركز التجارى الأمريكى، ان رجال المخابرات المركزية الأمريكية، والشرطة الفيدرالية (اف-بى-آى) جندت عدداً من الإسلاميين الناشطين وسط الجالية الإسلامية فى أمريكا لصالحها، من بينهم المصريان عماد سالم، ووحيد محرم[١٠].

وفى المحصلة النهائية، كان قرار اعتقال الشيخ عمر عبد الرحمن، والحاقه على قائمة المتهمين فى قضية تفجير المركز التجارى الأمريكى رداً عملياً على هواة الربط بين الشيخ والمخابرات الأمريكية، وبنفس الدرجة

كان توقف الحوار (الاتصـالات) بين موظفى السفارة الأمـريكية وممثلى «الجمـاعة الإسلامـية» و«الاخـوان المسلمين» بعد حادثة تـفجيـر المركز التجـارى مباشرة تعـبيراً عن نقلة أمـريكية ليست إنقـلابية على جبـهة الحركات الأصولية، فالاهتمام بهـذه الحركات قائم، يقوده حالياً مارتن انديك المسـؤول عن الشـرق الأوسط فى مـجلس الأمن القـومى وهو صاحب نظرية تقول «عندما تصل النار الى داخل البيت تسقط القناعات القديمة، ويتبلور خط سياسى بديل».

وأبرز سمـات هذا الخط هو تصفـية «التركـة الأفغانيـة»، وتعديل الموقف الذى التـزمـتـه إدارة ريجـان - بوش، والانتقـال من مـهـادنة الأصوليـة وغض الطرف عن أنشطتـها الى مـراقبة رمـوزها، وتفكيك خلاياها.

وفى هذا الاطار وحده، ودون مـيل الى ربط الشيخ - تعسفـياً - بالأجهـزة الأمنية الأمـريكية، وأهمـها المخابرات، يمكن أن نـفهم لماذا سمحت له الولايات المتحدة الأمريكية فى توقـيت محدد أن يقيم فيها، ولماذا غضت الطرف عن اتهـامات وجهت له فى حادثتى مـصرع الشيخ مصطفى شلبى، وتفـجير المركـز التجارى الأمريكى. ثم القـاء القبض عليه بعد ذلك بطريقة لاتخلو من حرفية سينمائية.

والهدف الأمريكى يبقى واضحاً : الاقتراب من مصادر النار، دون أن تشتعل ملابسك(!).

رموزها، وتفكيك خلاياها .. لماذا ؟

لأن فكرة «الجهاد» بدأت فى ظروف طبيعية، وحظيت بموافقة الجميع، بما فى ذلك الولايات المتحدة، عندما كان الجهاد موجهاً ضد السوفييت فى أفغانستان، ومالبثت الفكرة أن تحولت، وعم مفهوم الجهاد ليشمل مناطق أخرى، بما فى ذلك استخدام العنف ضد الولايات المتحدة إحتجاجاً على مواقفها فى بعض القضايا والبلدان.

وتنسب التيارات الإسلامية فى أمريكا، وهى متعددة، ومتناقضة، ومتحاربة فى بعض الأحيان، التحول فى مفهوم (الجهاد) وتغير أمكنته من أفغانستان الى مناطق أخرى من بينها مصر والولايات المتحدة الأمريكية الى الشيخ عمر عبد الرحمن، الذى تشير وقائع وشهادات عديدة على انه اختلف مع الشيخ مصطفى شلبى حول حصيلة التبرعات التي جمعت لأجل أفغانستان،وبالتحديد لمكتب الخدمات الذى أسسه الشيخ عبد الله عزام فى بيشاور، اذ كان رأى عمر عبد الرحمن ان التبرعات جمعت للجهاد عموماً، وحيث ان هناك جهاداً فى مصر - حسب رأيه - فليكن للجهاد المصرى حصة من التبرعات، واستمرت الخلافات بين عبد الرحمن وشلبى، فتحلقت مجموعة من المصريين حول عبد الرحمن، وأعلن أحدهم (محمود حليمه) نفسه أميراً للجماعة الإسلامية فى أمريكا.

ورغم تصاعد الخلافات بين الرجلين، الا ان الجهات الأمريكية

المسؤولة عن النشاط الأصولى فى نيويورك اعتبرته خلافاً داخلياً فى أوساط المسلمين، الى أن وقع حادث اغتيال للشيخ مصطفى شلبى فى أول مارس ١٩٩١، ودارت شبهات حول الشيخ عمر عبد الرحمن، وأنصاره، نبهت الأمريكيين الى الخطر الأصولى القادم[١١].

وتقول وقائع حادثة الاغتيال انها جرت فى أعقاب تصعيد جديد للخلاف بين عبد الرحمن وشلبى، ففى احدى الليالى عاد عبد الرحمن من جولة فى المساجد ليجد أمتعته خارج الشقة التى كان استأجرها له شلبى، وقد غير الأخير أقفالها، لتنتهى بذلك العلاقة بين الرجلين، ويبدو أن شلبى كان متضايقاً من الشيخ عبد الرحمن بسبب فاتورة هاتفه الضخمة، اذ كان عبد الرحمن يتحادث هاتفياً مع القاهرة، وبيشاور، وربما مدن أخرى أكثر من مرة فى الليلة الواحدة.

* * *

ليلة مصرع شلبى

=======

وفى أول مارس ١٩٩١. عثر على جثة الشيخ مصطفى شلبى وبها عدة طعنات ملقاة فى منزله فى بروكلين، واتهم أنصاره أتباع الحاخام الصهيونى كاهانا بالجريمة انتقاماً لمقتل زعيمهم، غير ان مجلة (الجهاد) التى أسسها الشيخ عبد الله عزام فى بيشاور قالت ان مصرع شلبى جاء فى اطار سلسلة تصفية القيادات الاسلامية المؤيدة للجهاد الأفغانى،

وكان الشيخ عزام نفسه اغتيل فى بيشاور قبل أكثر من عام من مصرع شلبى.

وكان مصطفى شلبى بدأ نشاطه عام ١٩٧٨ من حى بروكلين فى نيويورك عندما استأجر مكتباً فوق مسجد (الفاروق) وهو مسجد الجالية اليمنية، وأسماه «مركز اللاجئين الأفغان»، ونجح شلبى فى فتح حوالى ١٧ مكتباً فى مختلف أنحاء الولايات المتحدة، تركز دورها على جمع التبرعات، وتشجيع التطوع فى الجهاد، وترتيب سفر المتطوعين، وكان هناك جانب سرى من نشاطه هو ارسال الأسلحة الى المخابرات العسكرية الباكستانية لكى توصله الى المجاهدين الأفغان، كما امتد نشاطه الى نشاطات أخرى غير قانونية من نوع : تزوير تأشيرات الدخول الى باكستان، وارسال بعض المتطوعين بجوازات غيرهم، ثم استعادة الجوازات مرة أخرى ليستخدمها آخرون، ووصل الأمر بحماس شلبى فى العمل الى حد انه اشترى آلة طباعة لتزوير النقود، وقد ألقى القبض عليه، غير انه استطاع الخروج من المأزق، اذ لم تثبت عليه تهمة التزوير حيث ان آلة الطباعة كانت صالحة لأعمال الطباعة العادية.

ورغم براءته من هذه التهمة الا انها لفتت أنظار السلطات الأمريكية الى نشاطه المتزايد، لاسيما وانه كان قد رتب مع ضابط سابق فى الجيش الأمريكى دورات عسكرية فى الريف الأمريكى فى منطقة «كوناتيكت» وكانت الدورات تشمل تدريبات على استخدام الأسلحة الأتوماتيكية والمتفجرات، وبعض التدريبات البدنية الشاقة، والاستعداد

للقتال بالأيدى.

وبعد اغتيال الحاخام الصهيونى كاهانا تنبه مكتب التحقيقات الفيدرالى الى هذه التدريبات، فصدرت تعليمات بإيقافها فوراً.

وعلى أى حال، فان مكتب التحقيقات الفيدرالى وضع (محمود أبوحليمه) الذى كان سمى نفسه أميراً للجماعة الإسلامية فى أمريكا فى دائرة التهام باغتيال الشيخ مصطفى شلبى، كما حامت الشبهات حول احتمال أن يكون الخلاف بين عمر عبد الرحمن وشلبى سبباً فى الحادثة.

وكان مثيراً للغاية أن تغلق سلطات التحقيق الأمريكية ملف حادثة اغتيال شلبى من دون أن توجه الاتهام لأحد، كما انها لم تستدع الشيخ عمر عبد الرحمن ولو بصفته شاهداً فى القضية.

* * *

الخطوط الحمراء

=======

* لماذا ؟

يعتقد وليام كوانت مستشار الرئيس الأمريكى الأسبق جيمى كارتر، ان : «الولايات المتحدة كانت تعد قضية قانونية معقدة ضد الشيخ عمر وأتباعه، ولم تكن تود إعتراض سبيله الى أن تجمع أكبر

قدر ممكن من المعلومات» ويضيف : «لقد أطلقت له الحبل على الغارب ليقع فى الشرك».

ويدلل كوانت على ما يقول بأن قضية شلبى أعيد فتحها مجدداً مع غيرها من القضايا كاغتيال كاهانا عقب حادث تفجير مركز التجارة واتهام مجموعة من أنصار عمر عبد الرحمن بالتخطيط لعمل ارهابى واسع فى نيويورك.

ويقول كوانت : «وهكذا بعدما وجهته الى عمر عبد الرحمن التهمة رسمياً بالتآمر، فان من السخف الاعتقاد بأن الولايات المتحدة كانت تسعى الى بناء سمعته وشهرته من خلال اطلاق الحبل له على الغارب، ومنحه الحرية للتحدث فى مقابلات صحفية، والتنديد بنظام الحكم فى مصر».

ويذهب كوانت الى القول : «اذا كان من الصعب توجيه التهمة بجدية الى ادارة كلينتون بأنها «تغازل» المعارضة الاسلامية، فإنه من السهل إثبات أن ادارة كلينتون تواصل تقديم الدعم المالى السنوى لمصر، وأتوقع أن يدوم ذلك لسنوات طويلة قادمة.. والسبب بسيط هو أن الكونجرس والادارة لايزالان يدركان دور مصر فى المحافظة على الاستقرار فى الشرق الأوسط».

ونصل فى النهاية الى نتيجة مؤداها أن الادارة الأمريكية سمحت لعمر عبد الرحمن، كما سمحت قبله للشيخ عزام، ومصطفى شلبى

وآخرون بالاقامة والنشاط فى صفوف الجـالية الأمريكية عندما كان ذلك يخـدم المصلحة الأمـريكيـة فى استنزاف العـدو الشـيوعى ودحـره فى أفغـانستـان، أما وقـد إنتهت المهـمة، فـانه بات من الخطر على الأمن القومى الأمريكى بقـاء ونشاط الرموز الإسلاميـة الراديكالية على أرض أمريكا، لاسيـما وان مفهوم (الجهـاد) عند بعض هذه الرموز، وأهمهم عمر عبـد الرحمن قد تحول، من الجهاد فى أفغانسـتان، الى الجهاد فى مصر، وربمـا أمريكا، وهذا هو الخط الأحمر غـير المسموح به، مـثلما هناك خطوط حمراء أخرى غـير مسموح بتجاوزها فـى المنطقة العربية، أهمها تهديد منابع النفط، أو تهديد اسرائيل، أو تهديد المنشآت والرعايا الأميركيين فى المنطقة.

هوامش

=======

١ - مجلة (المصور)

٢ - مجلة (المصور)

٣ - مجلة (الوطن العربى) - العدد ٨٥٤ بتاريخ ١٦/ ٧/ ٩٣

٤ - مجلة (الوسط) ١٧/ ١/ ١٩٩٤

٥ - مجلة (الوطن العربى) ٩/ ٧/ ١٩٩٣

٦ - مجلة (الوطن العربى) ٩/ ٧/ ١٩٩٣

٧ - صحيفة (عالم اليوم) ١٠/ ٨/ ١٩٩٢

٨ - صحيفة (عالم اليوم) مصدر سابق

٩ - مجلة (الوطن العربى) - ٢٥/ ٦/ ٩٣

١٠- (الحياة) اللندنية - ١٨/ ١/ ٩٤

١١- لمزيد من التفاصيل - يرجى الرجوع الى : جمال خاشقجى - مجلة «الوسط» العدد (٨٤) سبتمبر ١٩٩٣.

١٢- وليام كوانت - مقال بمجلة (الوسط) العدد (٨٤) سبتمبر ١٩٩٣.

«إذا كانت أمـريكا تريد احتلال مـصر، فنحن أيضاً نريد إحـتلال أمريكا».

هكذا رد الشيخ عـمر عبد الرحمـن على سؤال لصحيفـة «العالم اليوم» حول العلاقة بين الحركات الإسـلامية والولايات المتحدة، ومضى الشيخ الضـرير يرد على الأسئلة الأخرى بشـقة الذى سينتصـر، وحول مقولة أوليفـر نورث بأن الاسلام هو العدو الوحيد لأمريـكا بعد سقوط الشـيوعـية، قـال د. عـمر عـبد الرحـمن : الاسـلام عدو لأمـريكا، والأمريكيون يخافون القوة الإسلامية، لكن لاهم ولاحلفائهم يستطيعون أن يواجهوا القوة الإسلامية، وهم على اسـتعداد لتخصيص الملايين من الدولارات لضرب الحركات الإسلامية خاصة فى مصر»[1].

هذه المقولات الواضـحة، الدقيقة، المحـددة تكاد تكون سائدة فى الخطاب السياسى للحـركات الاسلامية منذ جماعـة «الاخوان» المعروفة اعلامياً بإسم «التكفير والهجرة» وحتى وثائق «الجماعة الإسلامية».

* * *

رسالة الإيمان

=======

ففى كـتاب «رسالة الإيمـان» وهو الوثيقة الفكرية لجـماعـة «الفنية العـسكرية» تؤكـد الجمـاعـة على عدائهـا الشـديد للغـرب حضـارياً، وسياسـياً، وتصل الى حد «تكفيـر» النظم الساسية القـائمة، والتى هى

-أصلاً - مرتبطة بالغرب[٢].

ويتهم طارق الزمر فى كتابه «فلسفة المواجهة» العالم الغربى بأن له دوراً وراء النظام المصرى فى سعيه لتصفية الاتجاه الاسلامى[٣].

وفى وثيقة «الجهاد ومعالم العمل الثورى» تصور واضح للحضارة الغربية «المنحرفة عن منهج الله» وترى جماعة «الجهاد» أن أى تصور لمعركة اليوم بين الاسلام والجاهلية بفعل التحدى الغربى المفروض هو تصور هامشى لانجاح له مهما حقق من نتائج.

وتمضى الوثيقة «فالصراع الاسلامى الغربى له أولوية خاصة ضمن خطة الاسلام والجاهلية، ولهذا فهو صراع مدرج فى تخطيط التغيير لاقامة الدولة النواة، ومدرج أيضاً فى خطة التمكين الكامل للإسلام حيث لايتم الا على أنقاض تسلط الجاهلية الغربية».

وتحدد الجماعة موقفها من طروحات الحضارة الغربية وشعاراتها بأنها «شعارات مزيفة كمسمى حقوق الانسان والسلام العالمى والحرية والاخاء والمساواة، وهذه الشعارات إنما تهدف الى تزيين الجاهلية المسيطرة وترسيخ أقدامها وخداع الشعوب».

وترى جماعة الجهاد «ان هذه الحضارة هى الزيف والفتن»، وطرحت الجماعة تصورها للبديل الاسلامى متمثلاً فى الخلافة الاسلامية[٤].

=======

واستند محمد عبد السلام فرج فى تحديد الموقف العدائى لجماعة (الجهاد) على فتوى ابن تيمية التى حكم فيها على التتار بالردة، وبالتالى وجب قتلهم وسلبهم رغم أنهم ينتسبون الى الإسلام، بدعوى أنهم سلكوا سلوكاً يتناقض مع تعالم الاسلام، كما انهم لم يحكموا بشرائعه، وانما حكموا من خلال كتاب وضعوه وأسموه (الباسق) وكان خليطاً من أفكار مختلفة.

وقال عبد السلام فرج فى كتابه (الفريضة الغائبة) «ولاشك ان الباسق أقل جرماً من شرائع وضعها الغرب لاتمت للإسلام بصلة ولا لأى من الشرائع» ويقصد بذلك ان الحكومات القائمة تحكم وفق الشرائع الغربية مما يوجب تكفيرها وقتالها.

ويعتقد كمال السعيد حبيب ان المخطط الغربى - الأمريكى لاحتواء الحركة الاسلامية وإجهاضها فى المهد يلتقى مع أهداف أهل الحكم فى مصر ويقول : «ان أول ما تهتم به الادارة الأمريكية هو معرفة القوى القادرة على الرفض من منطلق اسلامى، وعليها بعد ذلك أن تسلك جميع الوسائل لاستئصالها بالترغيب والتطويع، فإن لم تفلح فالقبض والسجن، فان فشلت فبالقتل والاستئصال، وهذا مايحدث فى مصر اليوم مع قادة الحركة الاسلامية والمنتمين لها تحت شعار مايسمى

«الاجهاض المبكر» لأى حركة اسلامية»[٥].

* * *

العــــدو

=======

وهكذا فان قادة الحـركات الاسلامية الراديكاليـة فى مصر ينظرون الى أمريكا على أنها عدو رئيسى استناداً الى المنطلقات التالية :

١ – ان الاسلام دعوة ايمانية، ورسالة آلهيــة عالمية، وبالتالى فان الدعوة له ينبغى أن تصل الى أمريكا بكل الوسائل بما فى ذلك «الفتح».

٢ – ان أمريكا وضـعت الاسلام والمسلمين كعـدو أساسى بعد سـقوط المعسكر الشيوعى دولة تلو الأخرى.

٣ – ان الحـضارة الغـربيـة فاسـدة، ومنحـرفـة عن منهج الله، وهى تستهدف تزييف وعى الشباب المسلم.

٤ – ان أمريكا تتآمر مع الأنظمة الحاكمة لقمع ووأد الحركات الاسلامية فى المهد.

٥ – ان هناك أسباباً تاريخية ثأرية عند قـادة الغرب تدفعهم للبحث عن أى وسيلة لاذلال المسلمين.

هذه المنطلقات تتردد بصياغات مـختلفة فى الخطاب السياسى لقادة الحركة الاسلامية ليس فى مصر وحدها، وانما فى أقطار عربية أخرى،

خصوصاً الأقطار التى توجد فيهـا حركات اسلامـية ناشطة، وفى هذا الصدد يقول راشد الغنوشى (تونس) : «الغـرب ليست له مبادئ. وانما أطماع وأحقاد ومصالح، وهذه لابد لها من غلاف أيديولوچى لتسويقها وتبريرها»[٦].

ويدلل على ذلك بقوله : «أنظر الى ماتلاقيه الحركة الاسلامية من ألوان عسف وحشى على يد حكومـات قهرية، لاتزال - مع ذلك وربما بسبب ذلك - تتـلقى الدعم المادى والمعنوى من غرب يدعى انه كنيـسة عالمية للتبشير بالديمقراطية».

وفى مرافـعته أمام احـدي لجان الكونجرس يقول د. حـسن الترابى (السودان) : انه في الحالات التى تكون فيها سياسة محددة من سياسات الغرب يتمثلهـا نظام قمعى، فان الغرب يتردد فى مـساندته للديمقراطية كمـوقف تحررى ليبـرالى، اذا ماجاءت بـالاسلام كارادة عـامة فى قطر معين، وبين مـوقف آخر يسعـى لابعاد الحركـات الاسلاميـة من المسار الديمقراطى كلياً، ومنعهم من حرية التعبير وحق تقرير المصير».

ويضيف الترابى : «وللأسف فكثيـراً ما استمدت الدبابات - وهى تسحق صناديق الاقتراع - وقودها من الغرب الديمقـراطى بحجة مقاومة الأصولية».

ومن موقـع حضارى مـتمـيز يقـول فهمى هويدى : «نـحن ضد الغرب اذا كان يريد أن يهيمن علينا، ونحن ضد الهيمنة الغربية، ونحن

أيضاً ضد الحملات الصليبية، وضد التنصير الغربى.

ويضـيف قائلاً : «أنـا كإسـلامى ضد مـن لايريد الاعتـراف بى وبحقوقى المشروعة، وليست لدى من الناحيتين الجغرافية والعقيدية، أى عقـد فى التعامل مع الغرب لأن العـقد فقط سـياسية، فـأنا لست ضد الغرب بصفة عامة، أنا ضد الغرب بصفة خاصة»(٧).

* * *

الفتنة الطائفية

=======

وينفرد كـمال السـعيد حـبيب برصـد الدور الأمريكى التـخريبى والتـفتيـتى فى الأمة العـربية، من خـلال تغذية الـدور الصهيـونى.. ومحاولة اذكاء نار الفتنة الطائفية ويقول حبيب : «أن السياسة الأمريكية والاسرائيلية نجـحت فى بث الفرقة داخل المعسكر الاسـلامى - خاصة العربى - وذلك بتـحييد دور مـصر من خلال كامب ديفـيد، ثم تمزيق لبنان من خـلال مساندة الطائفـة المارونية التى تعـد امتداداً اسـتعـمارياً للوجود الغـربى الصليبى فى العـالم الاسلامى، ثم الحـرص على اتباع سياسة شد الأطراف لإضعاف منطقة القلب فيه، ومن ثم تمكين اسرائيل من العربدة كـما يحلو لها، وليس ضـرب اسرائيل الأخير لمقـر منظمة التحرير فى تونس الا أحـد نتائج هذه السياسة التى تتعـرض لها المنطقة وبشكل منظم منذ بداية السبعينات).

ويرصد كمال السعيد حبيب سبباً آخر للعداء هو (نجاح السياستان الأمريكية والاسرائيلية فى احداث هزة عميقة فى كيان المجتمعات المسلمة على المستوى القيمى، وأثار ذلك تبدو واضحة من طبيعة الجرائم الأخلاقية والاجتماعية التى تطالعنا بها الصحف كل يوم (انتشار الهيروين والمخدرات بدرجة تهدد الأمن القومى للمجتمعات الاسلامية - الطبقات الطفيلية والمنتفعة التى تمثل بؤراً فى جسد المجتمع يمكن للعدو المهاجم تعميقها وتوسيعها. . .).

* * *

الحروب الصليبية

=======

أما الأسباب التى يسوقها مفكرو، ومنظرو الحركات الاسلامية لاهتمام الغرب بهذه الحركات، فهى أسباب عقيدية، وحضارية، وسياسية، تبدأ من العصور الوسطى وحتى الآن، وقد مرت بخمس مراحل حسبما يذهب كمال السعيد حبيب، المرحلة الأولى حاول فيها رجال الدين النصارى ادخال العالم الاسلامى فى الديانة النصرانية من خلال تأويل التعاليم القرآنية ومن هنا كانت الحروب الصليبية التى واكبتها بدايات لحركات فكرية، كان هدفها جميعاً هو اقناع العالم الاسلامى أن محمداً ﷺ من حيث جوهره كان كاثوليكياً، وان الاسلام حلقة من حلقات التطور بين الالحاد والكاثوليكية.

أما المرحلة الثانيـة، فقد وقفت فيـها الحضارة الغربيـة (النصرانية) موقف الدفاع مـن الفيضان الاسلامى الذى مـثلته الدولة العثـمانية فى ذلك الوقت، ومنذ بدايات القرن الخامس عـشر الميلادى، وقد دق هذا الخطر الاسلامـى أبواب القارة الأوروبية (الـنصرانية) حـيث وصل الى فيينا وعاصمة النمسا».

المرحلة االثالثة هى التى تحولت فيها الحركة الاستشراقية الى احدي أدوات الغزو الامبريالى للعالم الاسلامى، والتى بدأت بالحملة الفرنسية ١٧٩٨ وانتـهت باحتـلال العالم الاسـلامى كله تقريبـاً، وظهر الـوجه الصهيونى للاستعمار فى المرحلة الرابعـة التى يطلق عليها كمال السعيد حبـيب «المرحلة الصهـيونيـة» ثم المرحلة الخامسـة، وهى تمكن الحلف الصهيونى الأمريكى من تفتيت جسـد الأمة الاسلامية. . والقيام بعملية تطويع لخصائص الشعوب التى تنـتمى الى هذه المنطقة من خلال احدى الأدوات الثابتة فى السياسة الخارجية الأميركية A.F.P والاسرائيلية، وهى اعادة تشكيل الـطابع القومى للشعـوب المستهـدفة عن طريق مـايسمى بالغـزو المعنوى، والذى يهـدف فى التـحليل النهـائى الى افـقـاد هذه الشعوب الثـقة فى دينها وتاريخها وحـضارتها وثقافتـها، وهذا مايطلق عليه المفكر الايرانى على شـريعتى «الانعزاليـة» وما يسميـه أيضاً المفكر السياسى الراحل د. حامد ربيع «التسميم السياسى»[٨].

❊ ❊ ❊

وثيقة الجهاد

=======

وفى وثيقة «الجهاد ومعالم العمل الثورى» تحذر جماعة الجهاد من هذا الاهتمام الغربى بالشرق الأوسط الاسلامى، وتصف الغرب بأنهم يطأون أرض المسلمين بأقدامهم النجسة، وتغزو قلوبهم بأفلامهم المسمومة.

ويعتبر كمال السعيد حبيب ان مهمة التصدى للغزو الغربى تقع فى الأساس على كاهل الحركة الاسلامية، وفى بحث له بعنوان «حركة الاحياء الاسلامى» قال حبيب : «ان الجماعة تحمل على نفسها عبء التصدى لهذا الغزو ومايتعرض اليه الشعب من غسيل مخ واعادة تشكيل قيمه من خلال الهيمنة الأمريكية التى تستهدف صميم وجود المسلمين».

وعلى هذا الأساس يعتبر المستشار طارق البشرى وهو مفكر اسلامى مستقل ان ظهور الحركة الاسلامية فى أحد أسبابها الرئيسية يعود الى كونها رد فعل لطغيان الوافد الغربى، بعد أن وجد هذا الوافد مايثبته - فى ما بعد عام ١٩١٩ - من خلال ثلاثة أشياء :

أولها : ظهور مايمكن تسميته بالوطنيين المتغربين أو الوطنية العلمانية.

ثانيهما : الغاء الخلافة العثمانية (الإسلامية) فى تركيا بعد عام ١٩٢٤ بما أفقد الاسلامية السياسية المؤسسة المجسدة لهويتها.

ثالثها : تجزئة بلادنا وتقسيمها أشلاء مبعثرة بين القوى لأوروبية المنتصرة.

وهنا ظهرت الحركة الاسلامية - فهى كما يذهب البشرى - ظهرت مع هيمنة الغرب، ويذهب الى أنها اشتدت مع اشتداد سببها وهو الإمعان فى الارتماء فى أحضان الغرب وتمثل قيمه، وينهى مقاله بقوله : «ويبدو لى ان الغلو سيبقى بدرجات وأشكال متنوعة وعلى فترات ممتدة أو متقطعة مابقيت هيمنة التغريب ولن يضعف إلا بضعفها أو أن يلقى أى من بلادنا مصير الأندلس، وقانا الله شر ذلك المصير»[٩].

وفى دراسته عن (الاحياء السياسى الاسلامى) أكد رد فعل ثقافى على الأيديولوچيات المنقولة من الغرب مثل «الماركسية» و«الاشتراكية» وغيرها لان الاسلام ظل محدداً أساسياً فى ثقافة الشعب»[١٠].

ويذهب أحمد بن يوسف فى نفس الطريق ويقول : لقد كان رد الفعل السلبى - فى الماضى - للنموذج الغربى فى الحياة جزءاً من الرفض العام للنفوذ الاستعمارى الأوروبى، ودفاعاً عن الاسلام ضد المزيد من التبعية للغرب، أكثر من كونه رفضاً لهذا النموذج».

* * *

دول الكفر

=======

أما الشيخ عمر عبد الرحمن فقد وصف الدول الغربية بأنها «دول الكفر» واتهم الحكومة المصرية - أثناء محاكمات تنظيم الجهاد - بالحكم

من خلال قوانين مستوردة من دول الكفر، والتى وضعها بعض رجال القانون فى البلاد الاسلامية، ولاسيما في المواد التى فيها مخالفة صريحة لما ورد بكتاب الله وسنة الرسول كاباحة الزنا والربا والشذوذ الجنسى والغاء الحد عن شارب الخمر والزانى والسارق، وقاطع الطريق - يعتبر كفراً - كما يكفر من يتحاكم الى هذه القوانين راضياً بها - فالحكم بالقوانين المخالفة للشريعة يعد طاغوتاً، والحكم بغير ما أنزل الله يعد طاغوتاً»[١١].

ويقول فرنسوا بورجا فى كتابه «الاسلام السياسى - صوت الجنوب» : «ان أنصار الاسلام السياسى يرون ان حركات الاستقلال لم تحقق وعودها السياسية والاقتصادية، ويبدو ذلك بصورة أوضح فى المجال الثقافى، أى انتشار الفرنكفونية (التحدث باللغة الفرنسية) وفى استمرار المؤسسات السياسية والقضائية ذات الطابع الغربى، بالاضافة الى المجموعات السياحية المتعجرفة التى تثير غضب المناضلين الاسلاميين نظراً لما يتسم به موقفهم من احتقار يفوق أحياناً الازدراء الذى كانت تتسم به الحملات الاستعمارية»[١٢].

* * *

لا .. للحلول الوسط

=======

ويفسر د. رفعت سيد أحمد ظاهرة الأحياء الاسلامى عموماً،

وفى مصر على وجه الخصوص من خلال مـجموعة افتراضات تبدأ من الصدام مع الغرب، وتنتهى بضرورة التـمايز مع الغرب، ويجملها على النحو التالى :(١٣)

١ - يمكن تفسير ظاهر الاحياء الدينى فى المجتمعات الاسلامية المعاصرة بارجاعهـا الى الضغوط التى تلازم عمليـة التغير الاجـتماعى فى البلدان النامية على وجه العموم، والتى تقع المجتمعات الاسلامية بداخلها.

٢ - التنمية الاجـتماعيـة والاقتصادية على النمط الغربـى مثلت تهديداً مـبـاشراً لـلعديـد من القـيم الدينيـة، وللنظام العـقـائدى داخل المجتـمعـات الاسلامـية التـقليـدية، نتج عنه تخوفـاً على الذات الحضـارية، وعلى عمليات عـزلها فكانت ظاهرة الاحـياء الدينى والعودة الى الأصول الاسلامية.

٣ - الثورة الايرانية الاسلامية كانت نتاجاً للاغتراب الثقافى والحضارى والاجتماعى الذى أدخله الشاه فى ايران خلال فترة حكمه.

٤ - اغتـراب القيـادات الوطنيـة فى المجتـمع الاسلامى خـلال حقـبة السبـعينات مثل أحد الأسس السـياسية والثـقافية لظاهرة الاحـياء الدينى والنموذج الأساسى هنا هو الحالة الايرانية.

٥ - الاحياء الدينى فـى المجتمعات الاسـلامية المعاصرة يـعود الى مائة عام مـضت عندما وقع أول صدام ثـقافى وحضـارى مع الغرب،

وهو ظاهرة غير حديثة كما يقول البعض.

٦ - الاسـلام السيـاسى الذى يطرحه الـتيـار الاسلامى غـير الرسـمى يختلف عما طرحـته السلطة السياسية منذ قـرن من الزمان، فهذا التيار يرفض الحلول الوسـيطة والتوفيقية بين الأصـالة والمعاصرة، وهم مصممون على الاختلاف الجذرى مع العالم الخارجى.

٧ - الصدام الذى حـدث بين التيار الاسلامـى غير الرسمى فى مـصر السبعيـنات والثمانينات (وحتى الآن) وبين السلطة السيـاسية يعود الى أسبـاب اقتصـادية وسياسـية بالأساس، ويأتى فى مـقدمتـها الانفتـاح على الغرب، والتـراجع والتفـريط فى العديد من الـقيم الوطنية والدينية المسلم بها تاريخياً كالصراع مع اسرائيل، واستبداله بالصلح المنفرد.

* * *

أمريكا واسرائيل

=======

وفى التحليل الأخيـر، فان حركات الاسلام الـسياسى الراديكالية هى رد فعل طبيعى على محـاولات تغريب المجتمع العربى المسلم والتى بدت واضحة منذ النصف الثانى من السبعينات وحتى الآن، كما انها رد فعل على الدور الذى رسمته أمريكا لنفسـها فى المنطقة العربية باعتبارها صاحبة الكلمة العليا، تاركة لاسرائيل تنفيذ التعليمات.

ففى القضايا السياسية والاقتصادية حتى الاجتماعية والأخلاقية التى شهدتها مصر منذ منتصف السبعينات ثمة على الدوام يد أمريكا.. فأنت حيثما يممت وجهك وجدتها أمامك.

ان أمريكا تريد أن تكون (قدر) العالم، وهى تسعى الى قولبته بما يتفق ومصالحها، وزرعه بأزمات مستعصية، ثم اعطائه حلولاً مستعصية أيضاً،، وكان طبيعياً أن يطلق قادة الثورة الايرانية لقب «الشيطان الأكبر» على أمريكا، وأن تتبنى القيادات الاسلامية العربية هذا المصطلح، لأن الله هو القدر، وهو القادر، وليست أمريكا.

ان تعدد الأزمات يفترض بالضرورة تعدد أسبابها، والمفارقة هنا ان أزمات المنطقة العربية، وبالتحديد مصر، تقف أمامها ومن ورائها أمريكا، التى سعت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية الى وراثة ممتلكات الامبراطوريتين البريطانية والفرنسية، وملء الفراغ فى المنطقة العربية عن طريق الأحلاف العسكرية.

واذا كانت بريطانيا هى التى أعطت وعد بلفور لانشاء وطن قومى لليهود على أرض فلسطين في مطلع هذا القرن، فان الدعم العسكرى والسياسى الأمريكى هو الذى رسخ أقدام الصهاينة فى أرض فلسطين، ومكنهم من التوسع فى أراض عربية أخرى.

وكان تمكين اسرائيل من التواجد فى الأرض العربية هدفاً أمريكياً لكى تكون مخلب قط لتنفيذ المخطط الأمريكى الرامى الى فرض

الهيمنة على المنطقة كلها، واحباط أى مشروع نهضوى على أسس قومية، وحدوية.

وكان طبيعياً أن تساهم أمريكا بدور رئيسى ومباشر فى هزيمة العرب عام ١٩٦٧، لوقف المد القومى الناصرى، وادخال مصر ضمن حدودها الجغرافية، مع فرض حصار سياسى عليها، بحيث لاتلعب دور الدولة القائدة فى المنطقة.

* * *

الانفتاح الاقتصادى

=======

وكانت سياسة الانفتاح الاقتصادى فى السبعينات هى أحد أهم المتغيرات الاقتصادية والاجتماعية لربط مصر بالاقتصاد الأمريكى عن طريق القروض، والمعونات ومن خلال النمط الحياتى الأمريكى الذى يعتمد على الاستهلاك الترفى، وغياب القيم الأخلاقية.

وهنا يتساءل كمال السعيد حبيب : «أليس الذى يحكم قيم مجتمعنا فى مصر اليوم ويوجهها هى قيم أعدائنا خاصة الأميركان.. فكل ما هو أمريكى دليل على التحضر والمدنية وكل ماينتمى الى الإسلام هو دليل التخلف والرجعية؟..».

وكان ان أحكمت أمريكا حصارها الاقتصادى على مصر من خلال برنامج المعونات السنوية (٢,١ مليار دولار) وتعويد الاقتصاد المصرى

على القـروض (إدمان القـروض) حتى يـأتى بعد ذلك صندوق النقـد الدولى بشـروطه المجحفـة، التى وصفـها الرئيس حـسنى مبـارك بأنها «وصف الموت».

* * *

الغزو الثقافى

=======

وكان طبيعياً للغاية أن يتم اخـراج مصر من ساحة الصراع العربى - الصـهيونى بـتوقيع اتـفاقيـتى كامب ديـفيد، بحـيث اختل الـتوازن العسكرى لصـالح اسرائيل، وكانت النـتيجة هى إنفـراط حبات العـقد العربى واحـدة تلو الأخرى فى اطار الـهيمنة الأمـريكية الصـهيـونية، واحلال النموذج الأمريكى كنموذج بديل لما خلفته الثقافة الاسلامية فى المجتمع العربى، واذا أخذنا فى الاعتبار ان «الثقافة هى ذاكرة الشعوب» كمـا يقول الكاتب التشـيكى ميالي كندورا وان «تفـريغ أمة من ثقافتـها وأصالتها يعنى الحكم عليها بالموت».

فلنا أن نفهم هذه الهجمة الاعلامية، الثقافية الأمريكية على العقل العربى الاسـلامى، وأن نفهم أن أحـد دوافع الصحـوة الاسلامـية هى التصدى ل«الأمركة» السائدة حالياً فى الواقع الثقافى العربى.

وتحتل الثقافة مكاناً رسميـاً لها فى ترسانة الأسلحة الموضوعة تحت تصرف الحكومـة الأمريكية، لا للـتعامل مع العـالم، وانما للتأثير فـيه

والتـحكم بمقاديره وبمسـار تطوره، ولابأس هنا من أن ننقل رأى خـبراء الجمعيـة الأمريكية : «سواء كانت الثقافـة الأمريكية خفيفة أو عـميقة، سواء كانت تعبيراً عن خير أو أسوأ مالدينا فمن الواضح أنها تشكل قوة هائلة تعيد صـياغة الثقافات القـديمة، والحياة اليومية للشـعوب الأخرى وتقولب مسالكهـا وفق مثال الولايات المتحدة وسياستـها»، ولن يتحقق ذلك - بطبيعة الحال - الا عن طريق سياسة «المطرقة» على أبواب العقل حتى يقبل، ويتكيف مع هذا النموذج.

* * *

«أمركة» العقل العربى

=======

ان الغزو الثقافى أو «الحضارى» الأمريكى الذى اجتاح ويجتاح مع الكوكـاكولا والكابوى والمـارلبورو والمسلسـلات التليـفزيونيـة «دالاس» و«الجرئ والجميلات» أرياف العـالم الثالث وأوروبا على حد سواء، هو ما حمل الكاتب ألان دو بونوا رئيس تحرير مجلة (المدرسة الجديدة) على الدعوة الى تضـامن أوروبا والعالم الثـالث عن طريق تحرر كليهـما من الاستعمار الأمريكى، وفـى ذلك يقول : «فلتواصل بلدان العالم الثالث تحرير نفـسها من الاسـتعمـار الجديد، ذلك ان أوروبا نفسـها يجب أن تدرج من الآن فصاعداً، فى مواجهة الغزو الأمريكى المتصاعد»[١٤].

ويتنبأ مـيشـيل جوبير وزير خـارجية فـرنسا الأسـبق، فى أحدث

مؤلف صدر له بأن أوروبا اذا استمرت فى فقدانها الراهن لهويتها، وفى عجزها الراهن عن تحديد نفسها بنفسها، لن تكون فى المستقبل القريب إلا «مستلحقة أميركية»(*).

ولايتردد ممثل بارز لما يسمى بـ(اليمين الجديد) فى فرنسا هو الكاتب جيوم فاى فى مقال اختار له هذا العنوان الدال : (أمريكا تقود الرقصة) فى الكلام عن سقوط أوروبا بين براثن الامبراطورية الأمريكية. ويشرح ذلك بقوله : انه اذا كانت الولايات المتحدة قد أسهمت بصورة حاسمة في تمزيق أوصال الامبراطوريات الاستعمارية، فما ذلك لتحرر الشعوب المستعمرة، بل لتقيم محل النظام الاستعمارى التقليدى، السياسى فى ماهيته، استعماراً جديداً يخضع الشعوب لا للإرادة السياسية لأمة أخرى، كما فى الاستعمار الأوروبى التقليدى، بل لنمط فى الحياة.. هو النمط الحياتى للنظام الغربى الذى تتمركز بؤرته فى الولايات المتحدة الأمريكية»(١٦).

وهذا النمط لم يغز العالم الثالث وحده، بل غزا أوروبا أيضاً، وامتد ليشمل اليابان والصين فى حمى (أمريكية) لامثيل لها.

ولابد أن نشير هنا الى الدور الذى تلعبه وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى مجال مقاومة الصحوة الاسلامية فمنذ الفشل الذى منيت به سياسة القوة الأمريكية المباشرة في الحرب الفيتنامية، قررت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية أن تعزز نشاطها تجاه (محاربة الشيوعية

بالنابالم» فـوثقت روابطها بوسـائل الاتصال الجـماهيرى، وبـالوكالات الأمريكية الكبرى للإعلان، وحتى بالأجهزة الأكاديمية والتعليمية، ومنها على سبيل المثـال مركز الدراسات الاستراتـيجية والدولية التابع لجـامعة چورچ تاون، وقد ثبت نهـائياً ان الدور الثقـافى الذى لعبتـه المخابرات المركزية فى اسقاط التجربة الاشتراكية فى شيلى عام ١٩٧٣ لم يكن أقل شـأناً من الدور السيـاسى المبـاشر، فـقد اتضـح من تقرير الكونجـرس الأمريكى أن الوكالة دفعت ٧ ملايين دولار للحزب الديمقراطى المسيحى بعد تسلم سلفـادور الليندى لمقاليد السلطـة ليوظفها فى انشـاء صحف ومحطات اذاعية اضافية، وكذلك فعلت مع الحزب الوطنى، وقد تلقت صحيفة (ألمركوريو) وحـدها ١,٥ مليون دولار من المخابرات الأمريكية لكى تشن هجومـاً اعلامياً يومـياً ضد حكومة الليندى الثـورية المناهضة للولايات المتحدة فى شيلى(١٧).

ولأن الحملة ضد الشيوعية لم تعد ذات معنى حالياً بعد أن سقطت الشيـوعية من تلقـاء نفسـها، فان العـدو الجديد (الاسلام) يحـتاج الى سيـاسة من نوع جـديد تبدأ بـتبييـض وجه اسـرائيل، وتشويه الـوجه الاسلامى للعرب، ودمغهم فى وسائل الاعلام الأمريكية بالإرهاب.

فبالتـعاون مع مؤسسـة «جوناثان» ومقرها القـدس نظمت الوكالة حملة عالمية لتبييض وجه اسرائيل ومحاربة الاتجاهات الاسلامية المناهضة لها فى الأرض المحـتلة عن طريق الصحـافة الأجنبـية، وحسـبنا هنا أن نشـير الى أن «بعض الأعـضـاء الديمقراطيين فـى الكونجرس الأمـريكى

صرحوا أمام الصحافة وفي جلسات رسمية بزن وكالة الاستخبارات المركزية تتحكم جزئياً، بحسب تقديرات شبه رسمية فى أكثر من مائتى صحيفة عبر أرجاء العالم وأكثرها فى العالم الثالث»(١٨).

يقول د. رفعت سيد أحمد : ان السفارة الأمريكية بالقاهرة ومؤسسة فورد فونديشن و«رافدا»، ومعهد الـ«ام - اى - تى» وهيئة المعونة الأمريكية، والمركز الثقافى الأمريكى، ومركز البحوث الأمريكى والجامعة الأمريكية وغيرها من ركائز الاختراق السياسى والثقافى الأمريكى بالقاهرة مثلت خلال الفترة من ٧٧ حتى ١٩٨٨ - بل قبلها فى أحيان كثيرة - مظلة رسمية لعقد الندوات والأبحاث المشتركة فى مجالات السياسة والاقتصاد والسياحة والفنون والآثار والاجتماع والزراعة بين العلماء الاسرائيليين ورجال المركز الأكاديمى الاسرائيلى بالقاهرة، وكذلك رجال السفارة الاسرائيلية، وبين علماء مصريين يعملون فى المجالات السابقة(١٩).

ويعتبر عدد من المؤرخين للحركة الاسلامية، ومن بينهم المستشار طارق البشرى ان الصحوة الاسلامية الجديدة منذ منتصف السبعينات هى رد على التحدى الغربى على صعيد الأفكار والممارسات.

هــوامـــش

=======

١ - صحيفة (عالم اليوم) - ١٩٩٢/٨/١٠، وجرى هذا الحوار قبل اعتقال الشيخ عمر عبد الرحمن فى نيويورك.

٢ - أنظر هالة مصطفى «جماعات العنف السياسى» - الأهرام - ١٩٩٢.

٣ - هالة مصطفى - مصدر سابق.

٤ - هاله مصطفى - مصدر سابق.

٥ - أنظر د. رفعت سـيد أحمـد - (النبى المسلح) - دار رياض الريس - لندن - ١٩٩٢.

٦ - أنظر - أحمد بن يوسف - مجلة (منبر الشرق) العدد (١٠) نوفمبر ٩٣.

٧ - فهمى هويدى - مقال بصحيفة (المسلمون) ٩٢/٧/١٧

٨ - د. رفعت سيد أحمد - (النبى المسلح) مصدر سابق.

٩ - وردت فى دراسة لكمال السعيد حبيب - راجع (النبى المسلح).

١٠- راجع - فرنسوا بورجا - الاسلام السياسى صوت الجنوب - دار العالم الثالث - القاهرة - ١٩٩٢.

١١- راجع - عادل جموده - قصة تنظيم (الجهاد) - دار سينا - القاهرة.

١٢- فرنسوا بورجا - مصد سابق.

١٣- د. رفعت سيد أحمد - لماذا قتلوا السادات - قصة تنظيم الجهاد - دار التونى - ١٩٨٦.

١٤- الان دى بونوا : «البدائل الكاذبة» دار بيرانت - باريس - ١٩٨٤.

١٥- ميشيل جوبير - لتحيى أوروبا الحرة - دار (راسى) - باريس - ١٩٨٤.

١٦- جيوم فاى : أمريكا تقود الرقصة - مجلة (عناصر) العدد (٥١) خريف ١٩٨٤.

١٧- جميل طراد - الغزو الثقافى - مجلة (الوحدة) العدد (٣) ١٩٨٤.

١٨- مصدر سابق.

١٩- د. رفعت سيد أحمد - غزو العقل العربى - الدور الأمريكى والاسرائيلى فى المنطقة - مجلة (الوحدة) العدد (٦٩).

فى وسائل الاعلام الأمريكية، كما فى منتدياتها الفكرية وفى داخل مؤسسات صنع القرار جدل من نوع خاص حول علاقة أمريكا - مستقبلاً - بحركات الإسلام السياسى المتنامية فى الوطن العربى . ويدور الجدل حول سؤال واحد : هل تفتح الادارة الأمريكية جسراً مع الحركات الاسلامية أم تظل على علاقتها مع حكومات الدول العربية التى تواجه النشاطات الأصولية بالعنف؟

وبطبيعة الحال فان هذا السؤال يختزل فى باطنه سؤالاً آخر : هل ترى الادارة الأمريكية بما تملك من أجهزة معلومات لها قدرة على التنبؤ، ان الحركات الاسلامية قادرة على الوصول الى الحكم فى عدد من بلدان الشرق الأوسط أم ان هذه الحركات لم تبارح موقعها الاحتجاجى دون أن تطور آلياتها فى اتجاه السيطرة على الحكم؟

* * *

« عقدة ايران »

=======

وقد كانت هناك مبررات واقعية دفعت الادارة الأمريكية وملحقاتها من أجهزة استخباراتية، وبحثية فضلاً عن أجهزة المعلومات المنتشرة فى السفارات الأمريكية فى الوطن العربى للإجابة على هذا السؤال، ويمكن أن نرصد هنا مبرران رئيسيان :

المبرر الأول هو مايمكن تسميته، العقدة الايرانية، حين عجزت كل

أجهزة المعلومات الأمريكية عن تقدير موقف حقيقى عن حجم ومستقبل الثورة الشعبية الاسلامية بقيادة الامام آية الله الخومينى فى مواجهة الشاه، بل ان الرئيس الأمريكى وقتها چيمى كارتر وقبل أربعة أشهر فقط من قيام الثورة كان يراقص الشاه ويغبطه على دولته التى تمثل جزيرة الأمان فى وسط محيط من البركان.

وينقل الكاتب الأمريكى يرفند ابرهيمان عبارات قالها كارتر للشاه وهو يشرب نخبة عام ١٩٧٨ لمناسبة العيد الميلادى الجديد : «ان ايران تحت قيادة الشاه العظيمة هى جزيرة استقرار فى واحدة من أكثر المناطق اضطراباً فى العالم، وهذا فضل كبير لك ياصاحب الجلالة، ولقيادتكم وللإحترام والاعجاب والحب الذى يمنحكم إياه شعبكم».

معنى ذلك ان الادارة الأمريكية لاتستطيع أن تثق فى التقارير الواردة من سفاراتها، أو عبر عملاء لها داخل الأقطار العربية فى تقدير مدى نمو وانتشار تقدير المواقف التى ينبغى اتخاذها ازاء هذه الحركات.

* * *

« عقدة الجزائر »

=======

وقد تكرر الموقف - بصورة مختلفة - فى ديسمبر ١٩٩١ عندما نجح مرشحو جبهة الانقاذ الجزائرية فى الجولة الأولى من الانتخابات التشريعية، وبدا فى الأفق المنظور ان الاسلاميين سيكلمون الجزائر بلا

محالة، وان جناحاً راديكالياً فى الحركة الاسلامية العربية «جبهة الانقاذ» يمكن أن يشكل تهديداً كبيراً للغرب، اذا تولى الحكم فى بلد له تاريخ فى العمل الثورى ضد الاستعمار الغربى. ورغم ان الانتخابات التشريعية فى الجزائر تجسد المفهوم الغربى للديمقراطية، وان الاسلاميين نجحوا عبر صناديق الانتخابات، الا ان الغرب وبالتحديد أمريكا لم تقبل هذه النتيجة.

وتنتقد كاتبة أمريكية هى «روبن رايت» موقف الغرب من أحداث الانقلاب العسكرى الذى أجهض جنين الديمقراطية فى الجزائر، وتقول : «ان هذا الموقف اتسم بالسلبية السياسية من جهة الدعاية والاعلان، بينما قامت مجموعة من البنوك الأوروبية والأمريكية بتقديم ١,٤٥ مليار دولار للعسكريين المتنقلين من أجل اعادة جدولة ديونهم الخارجية»[١] وتقول : «انه بالرغم من اتباع أمريكا لسياسة مفادها تشجيع التحول الديمقراطى، الا انه من الناحية العملية كان هناك شرط واحد هو أن لاينتصر الاسلام فى الانتخابات الديمقراطية»[٢].

ويعلق باحث أمريكى آخر هو اسبوسيتو باستهجان فى مقالته «التحول الديمقراطى والحركات الاسلامية والغرب» بقوله : «عندما بدأت المجموعات الدينية التصويت فى الانتخابات الجزائرية أخذ السياسيون والكتاب فى الغرب ينظرون اليها على انها أصبحت تشكل تهديداً للمصالح الغربية، وللنخب المستغربة فى البلاد الاسلامية، والتى ادعت ان الاسلاميين قادمون بطريقة أو بأخرى لاختطاف الديمقراطية»[٣].

عقد أخرى

=======

ولم يكن المبرر «الايرانى» والمبرر «الجـزائرى» هما فقط السبب فى حدوث اهتمام أمريكى - غربى بالحركـات الاسلامية. ففى مصر شكل الاسلاميـون «صداعاً مزمناً» للحكومة، وتحـولوا فى بعض الأحيان الى عامل مؤثر فى اضعاف الاقتصاد، واحراج الحكومة دولياً عندما هاجموا أتوبيسـات، وبواخر سيـاحية، خـصوصاً فى منطقـة الصعيـد، وقتلوا وأصابوا عدداً من السياح الأجانب.

وفى السـودان وصل الاسلامـيون الراديكـاليون الموالون للجـبهـة القومـية الاسلاميـة بزعامة د. حـسن الترابى الى الحكم عبـر تحالف مع النخبـة العسكرية الحاكمـة بقيادة الفريق عـمر البشير، وفى بـلاد عربية أخرى كـاليمن والأردن حـقق الاسلاميـون المعتـدلون (التجمع الـيمنى للإصلاح) والاخوان المسـلمون فى الأردن نتائج طيبة، واحـتلوا مواقع متقدمة فى البرلمان والحكومة.

وبصفة عامـة رصد الأمريكيون حركاً اسلاميـاً فى المنطقة العربية، تعددت صـوره وأنماطه، وكان ضـرورياً أن يتم التفـاعل مع هذا الحراك بطريقة أو بأخرى.

وفى الواقع تحركت الادارة الأمريكية فى خـطين متناقضين يعكسان التناقض بين العداء الاستـراتيجى المتأصل وفق رؤية عقيـدية «الأصولية

المسيحية» ورؤية سياسية «مواجهة البديل الحضارى الاسلامى»، وبين مصالح متشابكة ومعقدة فى بلدان الوطن العربى، تستلزم التعامل مع حكوماتها أياً كان لونها أو شكلها، أو معتقداتها.

* * *

تناقضات أمريكية

=======

وانعكس التناقض فى مواقف وسياسات، فتارة تنتقد الادارة الأمريكية الحكومة المصرية بدعوى اهدارها لحقوق المعتقلين الاسلاميين، وتفتح أبوابها لاستقبال قيادات اسلامية توصف فى بلادها بالتطرف وتشجيع الارهاب مثل الشيخ عمر عبد الرحمن.. وتحرص السفارة الأمريكية فى القاهرة على الاتصال بقيادات اسلامية معتدلة (اخوانية) وراديكالية (الجماعات الاسلامية) لجس النبض، بل وتستقبل أيضاً الشيخ حسن الترابى فى معاهدها الأكاديمية، وفى الكونجرس وتبدو أمريكا وكأنها مدافعة عن حقوق تيار سياسى محروم من الشرعية، تحمى أعضائه من الاضطهاد، وتوفر لهم قنوات اعلامية دولية لم يحلموا بها مثل قناة C.N.N. التى كانت أجرت حواراً مع الشيخ عمر عبد الرحمن صب فيه جام غضبه على النظام فى مصر.

وفى الوقت نفسه تصدر تصريحات من البيت الأبيض منددة بالتطرف والارهاب الذى يمارسه قياديون فى الحركات الاسلامية

العـربية، وتقـدم الادارة الأمـريكية الدعـم المادى، بما فى ذلك أجهـزة تخص الشرطة والأمن، ولاترحب الادارة الأمريكية بصـعود الاسلاميين فى السودان والجـزائر، وتنفرد أمـريكا بوضع السودان فى قـائمة الدول المؤيدة للارهاب، وتشن حملة اعـلامية صاخبـة ضد النظام السودانى، مؤكـدة على اهداره لحقـوق الانسان، وتبنيه لقـيادات اسـلامية عـربية متطرفة من بينها منظمة (حماس) الفلسطينية و(الجهاد) المصرية.

هذا التناقض الواضح فى الخطاب السـياسى، والقـرارات الصادرة عن البيت الأبيض وملحقـاته هو فى الواقع الدافع الأساسى وراء الحوار الدائر فى أمريكا حول الموقف من حركات الاسلام السياسى.

* * *

المعادون للحركة الاسلامية

=======

هناك فـريق من السيـاسيين والبـاحثين الأمـريكيين حسـم موقـفه العدائى من الحركات الاسلامية مستنداً الى تبريرات مختلفة، وفى مقال لها بعنوان «تحدى الاسلام الراديكالى» لم تميـز الكاتبة جوديث ميلر فى صحيـفة «نيويورك تايمز» بين الاسلام والمسلمين والحركات الاسـلامية، وهى كـاتبة متـعـادية - أصلاً - للإسـلام، مناصـرة لاسرائيل، تأثيـراً بالنشاطات الأصولية الانجيلية فى بلادها.

قالت مـيلر : «انه ينبغى الريبة فى اخلاص الاسـلاميين للحقـيقة

والعدل والاسلوب الديمقراطى، لان التاريخ الاسلامى والعربى وطبيعة تطور المجتمعات الاسلامية يوجب ذلك»[٤].

وتصف الكاتبة الشريعة الاسلامية «بأنها غير مرنة» وتقف فى تعارض صارخ مع الاعلان العالمى لحقوق الانسان».

ولاتجد الكاتبة ما تبرهن به على عدم ديمقراطية الاسلامي والمسلمين سوى الموقف من اسرائيل، وتشتشهد بآراء باحثين صهاينة مثل ماتيس كرامر المدير المساعد لمركز موشى ديان فى جامعة تل أبيب، وبرنارد لويس مؤرخ شؤون الشرق الأوسط.

وما يهمنا فى هذا المقال هو النتيجة التى ذهبت اليها الكاتبة، اذ لخصتها فى نصيحة الى ادارة الرئيس كلينتون تقول «ينبغى التضحية بالديمقراطية من أجل انقاذ الديمقراطية»[٥].

* كيف ؟

تقول ميلر : «ينبغى حماية الديكتاتوريات الحالية خوفاً من ديكتاتوريات أبشع قادمة».

وهى ترى ان القضية الآن أصبحت خياراً بين الأنظمة القمعية القائمة فى البلاد العربية، وبين الحركات الاسلامية الساعية الى السلطة، والتى تصفها بأنها أكثر قمعاً وإرهاباً، ومن هنا فهى تعود وتؤكد «ان ادارة كلينتون ستقع فى خطأ فادح اذا تصورت ان الاسلاميين قادمون الى السلطة، فتقيم معهم حواراً». والصيغة بشجاعة، واعلان ان اقامة دولة اسلامية يهدد بنسف مبادئ حقوق الانسان»[٥].

دعم الديكتاتوريات العربية

=======

هذه الرؤية التى عبـرت عنها مـيلر تجـد لهـا أنصاراً فى أوسـاط السيـاسيين والأكاديميين والاعـلاميين فى الولايات المتـحدة، وهى رؤية تحريضـية لمؤسسات صناعـة القرار بأن تتخـذ مواقف عدائية للحـركات الاسلامية، وأن تدعم الحكومات العـربية القائمة على الرغم مما تتسم به هذه الحكومات من عنف.

وفى مقال بصحيـفة «واشنطن بوست» فى يوليو ١٩٩٣ كتب جين هوجلاند وهو وثيق الصلة بالادارة الأمريكية، كمـا هو خبير فى شؤون العالم العـربى والاسلامى : «ان الولايات المتحدة تتـبع سياسة مـغامرة بدعمـها للعناصر الاسـلامية المتطرفـة - مثل ايوائها للشـيخ عمر عـبد الرحمن مفتى الجماعة الاسلامـية - وهى سياسة تهدد أمن دول صديقة ديمقراطية - يشير الى مصر - تدفع ثمن مغامرات عناصر اسلامية كانت أمريكا تستخدمها من قبل لهزيمة الشيوعية فى حرب أفغانستان، وها هى عدة دول إسـلامية وعلمـانية صديقـة للولايات المتحـدة تعانى الآن من نتائج حـرب أفغانسـتان، بعد أن أصبـحت هذه الدول ضحيـة للحرب الأفغـانية، اثر عـودة عناصر القوى الاسـلامية التى شـاركت فيـها الى بلادها الأصليـة لتمـارس عمليـاتها الارهابيـة وتحتـرف العنف المسلح، مستفيدة من الدروس التى تعلمتها وتدربت عليها فى أفغانستان بمساعدة أمريكية مباشرة، وبدعم كـامل من جانب المخابرات المركزية الأمريكية،

لقد تحولت مراكز التدريب فى باكستان الى مقار للاتجاهات المتطرفة فى الدول الاسلامية التى ساندت المجاهدين الأفغان وساعدتهم فى تحرير بلادهم. وبفضل وليم كيسى المدير السابق للمخابرات المركزية الأمريكية تمكنت هذه الاتجاهات الاسلامية المتطرفة من التطور والتدريب والتسلح الى درجة أصبحت تهدد أمن الدول الاسلامية الصديقة وسلامتها»[٦].

ويخلص الكاتب هوجلاند الى نتيجة خطيرة : «من الخطأ تصور ان مصلحة أمريكا انتصار هذه القوى المتطرفة على النظم السياسية القائمة فى الدول العربية، ومن الخطأ أيضاً أن تظل أمريكا تعطى الشيخ عمر عبد الرحمن - مثلاً - أكبر من حجمه الحقيقى، فتخلق منه وحشاً - فرانكستين جديد - وهو الهدف الحقيقى الذى تريده هذه القوى المتطرفة.. أن تخلق أمريكا الشبح فاذا هذا الشبح زعيماً على طريقة آية الله روح الله الخومينى»[٧].

* * *

« حماس » المرعبة

=======

وفى الاطار نفسه، وسعياً الى تخويف الادارة الأمريكية من الحركات الاسلامية، أصدر معهد واشنطن لدراسات الشرق الأوسط مؤلفاً ضخماً عن حركة حما «أصولها وجذورها وعلاقاتها بالأردن» وتوصلت الدراسة الى ان اسرائيل مهددة بالزوال بسبب حركة «حماس»[٨].

وفى ندوة بمعهد الولايات المتحدة للسلاح حذر دون بيريز أستاذ العلوم السياسية فى جامعة ولاية نيويورك من ان استمرار الفشل فى حل القضية الفلسطينية سوف يعمل على زيادة تفوق الجماعات الاسلامية المتشددة فى الأراضى التى تحتلها اسرائيل(٩).

ومن المفيد هنا أيضاً أن نتوقف عند رأى قاله سياسى أميركى لامع هو وليام كوانت (مستشار الرئيس السابق كارتر لشؤون الأمن القومى - وهو خبير بارز فى شؤون الشرق الأوسط) قال :

- ان السياسة الأمريكية فى عهد كلينتون تسعى الى تشجيع الديمقراطية «أينما كان ذلك ممكناً» ولكن ما الذى يعنيه هذا فى حالات معينة عندما تحدث مواجهات عنيفة بين الحكومات فى مصر والجزائر وبعض الدول الأخرى وبين المتطرفين أو «الارهابيين»؟

ويتساءل كوانت : هل هذا هو الوقت المناسب للحديث عن الانتخابات والتشريع وحقوق الانسات؟ أم انه الوقت الذى يجب فيه التزام الصمت مع الأمل فى أن تؤدى المداهمات والاعتقالات الى القضاء على خطر وتهديدات المتطرفين من دون تنفير قطاع واسع من المواطنين العاديين؟

ويرد كوانت على السؤال بقوله : مع انه ربما كان من الصواب القول ان أية حملة ناجحة ضد التطرف يجب أن تتم بطريقة تضمن عدم تجاوز حقوق الانسان، كما تضمن استمرار حرية الحياة السياسية العادية،

فان هذا ربما لاينطبق على كل المجتمعات والدول.

ويصل كوانت الى نتيجة مهمة : «سوف تتردد الولايات المتحدة بعض الوقت، ولكنها في النهاية ستؤيد - من دون مفر - الأنظمة القائمة حتى لو تبنت هذه الأنظمة مواقف متشددة جداً ضد الجماعات الاسلامية المتطرفة».

* * *

المستقبل للإسلاميين

=======

في مقابل الفريق الذى يرى فى الحركات الاسلامية مجرد «حركات ارهابية» تهدد «أمن اسرائيل» و«أمن ومصالح أمريكا» وتزعزع الاستقرار فى منطقة حيوية من العالم، وبالتالى ترى أهمية فى مواجهة هذه الحركات بدعم الحكومات، وبالتالى ترى أهمية فى مواجهة هذه الحركات بدعم الحكومات العربية العلمانية، فان فريقاً آخر من المفكرين والسياسيين الأمريكيين يرى امكانية التعايش بين أمريكا والحركات الاسلامية، على قاعدة ان المستقبل لهذه الحركات.

تقول الكاتبة «ربون رايت» : «إن المستقبل سيكون فى صالح التحول الاسلامى، وإن على الغرب أن يتفهم هذه الحقيقة أولاً، ثم يتعامل معها ايجابياً منذ الآن، حتى يخلق عداوات ليس بحاجة لها فى العالم العربى والاسلامى، وترى بأن هناك خيارين أمام الغرب للتعامل

مع حركة الاحياء الاسلامى : الأول هو الاستفادة من اللحظة التاريخية الحالية التى تشهد تنامى الاسلام والديمقراطية فى العالم من أجل الضغط على الدول الاسلامية لتشجيع التعددية السياسية، ثم القبول بنتائجها بشكل ايجابى عندما تؤدى الى نجاح الاسلاميين فى الانتخابات، فالغرب عندها سيكون فى موقف أقوى فى محاسبة أى حكومة يشكلها الاسلاميون، اذا ما خالفوا قواعد اللعبة الديمقراطية أو انتهكوا حقوق الانسان فى بلدانهم، كما أنه سيكون بمقدور الغرب أن يمارس هذا الدور عندئذ بدون أن ينظر له على انه معاد للاسلام»[١١].

وتطرح روبين رايت خياراً آخر أمام الدول الغربية وهو سياسة مواجهة واحتواء الحركة الاسلامية عن طريق دعم الدول التى تضطهدهم.

وتنتقد الكاتبة هذا الخيار وتقول : إنه قد يكون مكلفاً على المدى البعيد بقدر مواز للتكلفة التى نجمت عن الصراع الطويل مع الشيوعية، لانه على مايبدو، وبعكس ماتهدف اليه هذه السياسة - قد تكون السبب فى تحقيق التخوف الأكبر لدى الغرب، وهو توحيد الجماعات الاسلامية المختلفة التى تصل الى مرحلة اليأس بعد سنوات من القهر - فى قوة همها الأساسى معاداة الغرب، واستخدام الأساليب المتطرفة فى ذلك.. الا ان الخطر الأكبر هو فى ايجاد شرخ غربى - شرقى جديد يكون الاسلام هو الطرف الشرقى فيه، ويخوض مع الغرب معركة دموية مفعمة بالتاريخ العدائى[١٢].

وترى روبن رايت : «ان الحركات الاسلامية هى القوة الوحيدة المنظمة والمؤهلة للتحرك بسرعة لملء الفراغ السياسى فى المنطقة». فى حين ان مفكراً آخر هو جونثان باور ينصح أمريكا والغرب بالتعامل مع الحركات الاسلامية منطلقاً من : «حتى مع اعتبار ان البعث الاسلامى يمثل تحدياً للقي الدينية الغربية شبه المنسية، الا ان انبعاث الوهج الاسلامى يقدم فى الوقت نفسه - اذا ما اتخذ شكلاً ديمقراطياً - ربما أفضل فرصة للسلام والتسامح بين العالمين المسيحى والاسلامى منذ القرن الحادى عشر(١٣).

* * *

اللوبى الصهيونى

=======

ومع وجود اتجاهين، وتياريت متناقضين فى النخبة الأمريكية الحاكمة، وقيادات الرأى العام، الا ان الاتجاه المعادى للحركات الاسلامية - ولأسباب مختلفة - يعتبر هو الأكثر تأثيراً فى القرار السياسى، والأعلى صوتاً فى الإعلام، وبلاشك فإن المؤسسات الصهيونية، والجمعيات التنصيرية الغربية لها دور هام فى تنمية الاتجاه المعادى للحركات الاسلامية.

* * *

الاحتواء والهيمنة

=======

وفى ظل وجود تيارين، واتجاهين فى السياسة الأمريكية، تيار يعادى الحركات الاسلامية العربية، ويدعو الى تأييد النظم العربية الحاكمة حتى وان كانت «قمعية»، وتيار آخر يرى ضرورة الحوار مع حركات الاسلام السياسى بهدف احتوائها، أو تقليل خطرها المستقبلى، مع الضغط على الحكومات القائمة لاعطاء مزيداً من التعددية السياسية، والتعايش مع الحركات الأصولية، فان مصلحة أمريكا هى التى تحدد - فى نهاية الأمر - أى قرار صادر عن مؤسسات الحكم وملحقاتها، فأمريكا - كما يقول الكاتب صلاح الدين حافظ - تريد السيطرة والهيمنة على الدول الاسلامية بكل ما تحتويه من نظم حاكمة، وتيارات سياسية وجماهير».

من هذا المنطلق تتعامل الادارة الأمريكية مع الدول الاسلامية بكل مافيها، وماعليها من بشر وجماعات «حتى لايخرج عن سيطرتها أى فصيل أو تيار حتى ولو كان متشدداً أو ارهابياً، وبحيث تعطى للمعتدلين مايحبون، وتعطى للمتشددين مايفضلون، ويظل الهدف الاستراتيجى الأمريكى هو السيد السائد المهيمن»(١٥).

هـــوامـــــش

=======

١ - يرجى العـودة الى «منبر الشـرق» القاهرة - دراسـة للكاتب أحمـد يوسف - بعنوان (الاسلاميون والغرب) العدد (١٠) نوفمبر ١٩٩٣.

٢ - مصدر سابق.

٣ - مصدر سابق.

٤ - صحيفة «الشعب» القاهرية.

٥ - مصدر سابق.

٦ - أنظر - صلاح الدين حافظ - سلسلة مقالات فى صحـيفة (الحياة) اللندنية - بعنوان (الاسلام والغرب) فى ٢/ ١٠/١٩٩٣.

٧ - مصدر سابق.

٨ - تقرير من واشنطن لـلصحفيـة هدى توفيق نشـر بمجلة (الدولية) الباريسـية - العدد.

٩ - مصدر سابق.

١٠- راجع مجلة (الوسط) اللندنية ١٩/ ٤/ ١٩٩٣

١١- يرجى العودة الى أحمد بن يوسف - مجلة (منبر الشرق) - مصدر سابق.

١٢- مصدر سابق.

١٣- مصدر سابق.

١٤- مصدر سابق.

١٥- صلاح الدين حافظ - مصدر سابق.

التوافـق

.. ابريل ١٩٩٣

كانت العاصمة الأمريكية «واشنطن» تبحث - بدأب - عن أدلة اتهام جديدة ضد مجموعة من العرب المسلمين فى حادثة تفجير المركز التجارى الأمريكى فى نيويورك والذى وقع فى ٢٦ فبراير ١٩٩٣.

وكان المحققون الأميركيون فى اية الارهاق، وهم يبحثون عن ١٥٠ عربياً هم أعضاء منظمة سرية تحمل اسم «الكتيبة الخامسة من جيش التحرير» وهى التى أعلنت مسؤوليتها عن انفجار نيويورك فى رسالة موقعة أرسلت الى صحيفة «نيويورك تايمز» بعد أربعة أيام من الانفجار.

وكان مسؤولون أميركيون ربطوا بين حادثة نيويورك وبين المجاهدين العرب فى أفغانستان، وقال جاك بلين وهو باحث متخصص فى لجنة الشؤون الخارجية بالكونجرس «ان عدداً من المتهمين فى حادث انفجار نيويورك لهم علاقات وثيقة بالمجاهدين الأفغان»[1].

* * *

قنبلة وادى النيل

=======

وفى القاهرة، كان الرئيس مبارك قد عاد من زيارة الى واشنطن هى الأولى التى يقوم بها رئيس عربى بعد تولى الرئيس كلينتون، ورغم

أهمية الزيارة وماحققتـه من نتائج الا ان الاعلاميين المصريين توقفوا عند ظاهرة خطيرة هى حـرص الاعلام الأمريكي علي (تلميع) الشـيخ عمر عـبد الرحـمن أثناء وبعد زيارة الرئيـس الى حد ان شـبكة التليفـزيون المعروفة (C.N.N.) خصصت له ٤٥ دقيقة أجاب فيها عن كل شئ يتعلق بمصر، وبطبيعة الحال فقد وجـه الشيخ انتقادات حادة للنظام فى مصر. وهو الأمر الذى أثار ريبـة الاعلاميين المصـريين فى مصداقـية الولايات المتحدة خصوصاً فى شعاراتها وسياساتها المناهضة للإرهاب.

وكان العنف المتـبادل بين الجمـاعة الاسلاميـة ورجال الأمن وصل الى مدى خطير، بعد أن انفجرت قنبلة فى مقهى شعبى بميدان التحرير، ووقع ضحايا مصريون وأجانب، ودار جدل حول الفاعل، أجهزة الأمن أكدت ان الجمـاعة الاسلامية هى الفـاعل، والجماعة الاسلامـية نسبت الاتهام لعناصر خارجية (الموساد الاسرائيلى).

* * *

وقنبلة نيورك تايمز

=======

وفى وسط هذه الأحداث المتلاحقة فجـرت صحيفتا (الانديبندنت) البريطانيـة، و(نيويورك تايمز) الأميركـية قنبلة شديدة الانفـجار وصلت ظايا الى مصر محملة بالتراب.

قالت الصحيـفتان ان لديهما معلومـات عن اتصالات سرية جرت

بين عناصر قيادية فى (الجماعة الاسلامية) وموظفين فى السفارة الأمريكية فى القاهرة، وان هذه الاتصالات بدأت فى العام ١٩٩١، وتوقفت بناء على طلب أميركى بعد انفجار نيويورك، أى فى فبراير ١٩٩٣.

وكان طبيعياً أن تنقلب الدنيا رأساً على عقب، فقد نفت السفارة الأميركية وجود هذه الاتصالات. وانتظرت الجماعة الاسلامية بعض الوقت ثم أكدت انها تمت، فيما كان الاعلام الرسمى يصب جام غضبه على الادارة الأميركية، والمخابرات المركزية، وينسب لهما - ضمنياً - فضل تشجيع الارهاب والتطرف.

الصحف الأمريكية قالت ان وقائع الاجتماعات التى تمت فى القاهرة بين الجماعة الاسلامية وأعضاء فى السفارة الأمريكية مسجلة فى تقارير خطية أرسلتها السفارة الأمريكية الى وزارة الخارجية الأمريكية، وأيضاً الى أجهزة أخرى فى واشنطن للإطلاع والحفظ.

ومن جهتها أكدت الجماعة الاسلامية - على لسان محاميها منتصر الزيات - ان الديبلوماسيين الأمريكيين الذين شاركوا فى الإجتماعات كانوا يسجلون «نقاطاً» على الورق أثناء الحوار، ولم تستخدم أى وسيلة أخرى للتسجيل[٢].

* * *

هذه هى أمريكا

=======

وقالت الصحف الأمريكية أيضاً أن شخصيات على علاقة بالجماعة الاسلامية في مصـر هى التى سربت هذه المعلومات عن الاتصالات الى الصحف الغربية، وأن الهدف من ذلك هو محاولة الايحاء بأن الولايات المتحدة تقيم «عـلاقة سرية» مع هذه الجماعات وانهـا تعترف «بوجودها ووزنها» فى الساحة المصرية.

ونفى محـامى الجماعة الاسـلامية مـا قالته الصحف الأمـريكية، وقال: ان الجـماعة الاسلامـية أبدت دهشة كـبيرة بعد اذاعـة أنباء هذه الاتصالات، وانها تعتقد ان الجانب الأميركى هو الذي سرب المعلومات عنها الى الصحف.

ولما سألت مـحامى الجماعـة الاسلامية منتـصر الزيات عن دوافع الادارة الأميركـية فى تسريب أنباء هذه الاتصـالات الى الصحف قال : هذه هى أميركا(!).

وأضاف : ان السـفارة الأميـركية، وكـذلك الخارجيـة الأميركـية تعرفـان ان الاتصالات تمت، وانها بدأت بناء على طلب أمـيركى وليس من الجماعة الاسلامية.

ومن جـهة أكـد روبرت جيـتس المدير اسـلابق لوكالة المخـابرات المركزية الأمـيركية فى عـهد بوش حدوث هذه الاتصـالات وقال : «أنا

شخصياً كنت أشجع العناصر التابعة لجهاز المخابرات على الاتصال بالجماعات المعارضة سواء فى مصر أو فى دولى أخرى، والتحاور معها لمعرفة حقيقة تفكيرها وتوجهاته».

* * *

حب استطلاع

=======

وأضاف جيتس : «اذا حصلنا من هذه الاجتماعات على معلومات مهمة، أمنية أو غير أمنية فاننا نرسلها الى هذه الأجهزة فى البلد الذى تعقد فيه هذه الاجتماعات اذا كان هذا البلد صديقاً للولايات المتحدة».

وكشف جيتس عن الدوافع الحقيقية وراء اجراء مثل هذه الاتصالات بقوله : «ان الادارة الأمريكية ترتكب خطأ اذا لم تطلع على أفكار وتوجهات القوي المعارضة فى هذا البلد أو ذاك، والكثيرون من المسؤولين الأمريكيتن يشعرون بالندم لان ادارة كارتر حظرت على الديبلوماسيين والموظفين الأمريكيين اجراء أية اتصالات مع القوى المعارضة في ايران خلال عهد الشاه، وحين سقط الشاه لم نكن نعلم شيئاً عن هذه القوى».

ويتفق فينسنت كانيسترارر المسؤول السابق فى وكالة المخابرات الأمريكية (فرع مكافحة الارهاب فى الشرق الأوسط) مع ما قاله محامى الجماعة الاسلامية منتصر الزيات فى ان الاتصالات التى تمت

بين الجماعة والسفارة الأميركية لم تشمل أى عضو فى المخابرات المركزية الأمريكية، ويقول منتصر الزيات ان المتحاورين الأميركيين قدما نفسيهما على أنهما موظفان فى السفارة، وان الحوار جاء بطلب من وزارة الخارجية الأميركية ووفقاً لما قاله الزيات، فان عناصر الجمعة سألت عما اذا ما كانت الحكومة المصرية على علم بهذه الاتصالات، فرد الأميركيون بالايجاب.

ويقول فينسنت كانيستراو «ان الذين اجتمعوا بممثلى الجماعات الاسلامية المتطرفة فى مصر لم يكونوا من رجال المخابرات الأميركية بل من الديبلوماسيين النظاميين العاملين فى السفارة الأمريكية فى القاهرة، وكانت السفارة الأميركية تطلع المسؤولين المصريين على هذه الاجتماعات وما يجرى فيها».

* * *

متطرفون أم معتدلون؟!

=======

ويختلف كانيستراو مع منتصر الزيات فى تحديد هوية وطبيعة المتحاورين من أعضاء الجماعة الاسلامية، ويقول كانيستراو : «ان المصريين الذين كانوا يجتمعون بديبلوماسيى السفارة الأميركية لم يكونوا من العناصر النشطة التى تستخدم العنف بل من المؤمنين بأفكار الجماعات الاسلامية وبضرورة وصول هذه الجماعات الى الحكم».

ويقول منتصر الزيات انه شخصياً شارك فى هذه الحوارات بل كان هو المتحدث فيـها باسم الجماعة الاسلامية، وكـان هناك أعضاء آخرون حضروا الاجتماعات، وعددها ثلاثة اجتماعات لكن بدون أن يتحثوا.

ومعنى ذلك ان مسؤولى السفارة الأمـيركية تحاوروا مع أعضاء فى «الجمـاعة الاسلاميـة» بالتحديد وهو مـا يتناقض مع ماجاء فى شـهادة كانيـستراو، الا اذا اعتـبرنا ماقـاله المسؤول السابق فى وكـالة المخابرات المركـزية الأميـركيـة يخص حـواراً جرى بين مـسـؤولين فى السفـارة الأميركية، وعناصر قيادية فى جماعة «الاخوان المسلمين».

* * *

مأمون الهضيبى

=======

وربما كان مـفيداً هـنا أن ننقل نص هذا الحوار الذى أجـرته مجلة «الوسط» اللندنية مع المسـتشار مـأمون الهضيـبى الناطق بلسان جمـاعة «الاخوان المسلمين.

سألتـه المجلة : برز في الفتـرة الزخيـرة موضـوع الاتصالات بين السفـارة الأميـركيـة فى القاهرة والاسـلاميين فى مصـر، ونفت وزارة الخارجية الأميـركية أى اتصال بين السفارة والجماعـة الاسلامية، لكنها أكدت ان الأمر اختصر على الاخوان، وهو ما أكدته أنت، هل يعكس هذا الحوار رغبة الأميركيين فى التعرف اليكم، أم انطلق من النظر اليكم

كبديل اسلامى؟

وأجاب الهضيبى : الاتصالات بالاخوان لم تزد عن لقاءين أوثلاثة فى السنة.

* على مدى كم سنة وما هو محورها ؟

- على مدى خمس أو ست سنوات، وكنا نقول لهم انهم يعملون ضد مصلحتهم وضد الصداقة مع الشعوب العربية والاسلامية فى سبيل دولة اسرائيل المخالفة للحق والحرية.

* من الذى تولى الاتصال من جانب السفارة الأميركية، وهل سألوكم عن موقف الاخوان من القوى المحلية الأخرى فى مصر؟

- هناك من قال انه مستشار، ومن قال انه سكرتير ثان، كانوا يسألون عن كل شئ، وسألونا عن رأينا فى العلمانيين، وهل نقبل بأن يجئ الى الحكم حزب علمانى، أسئلة كتلك التى يطرحها الصحفيون، واستقبلت أخيراً صحفياً من «صانداى تايمز» البريطانية، وسألنى عن العلمانيين فقلت له : أنت محروق للغاية على العلمانيين وليس على المسلمين الذين يقتلون في البوسنة، قلنا لأحد رجال السفارة : تتساءلون لوجاء الاسلاميون الى الحكم هل تكون علاقتهم بالغرب طيبة، والأحرى بكم أن تحسنوا علاقتكم بنا، وهل يفترض أن تقتلونا ونحن نصفق لكم ونقبلكم؟ حسنوا علاقتكم بنا، ومعاملتكم لنا، بعد ذلك لن تكون بيننا ضغائن.

* هل اتصلت السفارة الأمريكية بك كناطق رسمى باسم الاخوان أم اتصلت بالسيد مصطفى مشهور نائب مرشد الجماعة، وهل تناولت الأسئلة قضايا رئيسية؟

قال الهضيبى : أحياناً يأتون الى المرشد العام الأستاذ حامدأبو النصر أو اليّ أو الى الأستاذ مطفى مشهور، ونحن حريصون جداً على أن نفهم من يتصل بنا اننا لسنا مستعدين للدخول فى أية علاقة مع سلطة أجنبية، هذا قيل للأميركيين بوضوح، وما بيننا وبين الحكومة المصرية سنسويه بالطول والعرض، ولاشأن لهم به.

* هل سألوكم عن علاقة الاسلام بالتيار الدينى المتطرف؟

- نعم سألونا عن علاقتنا بالجماعات المتطرفة، وأحياناً قالوا اننا جميعاً أصحاب فكرة واحدة، وهدف واحد.

* أتعتقد أنهم متخصصون في الشؤون المصرية؟

. . جداً، وهم دارسون فى شكل نادر كل تفاصيل الحياة المصرية، تاريخها وتاريخ المنطقة.

* ماذكرت عن أسئلتهم الموجهة اليكم يوحى كأن هناك نفساً عدائياً أميركياً لكم، ألم تشعر بأنهم اقتنعوا بأن الاسلام المعتدل يمكن أن يواجه التيار الدينى المتطرف؟

- هم لايظهرون حقيقتهم اطلاقاً، انهم جامعو معلومات فحسب.

* ألم يتطور موقفهم الى ابداء رأى؟

- أنا لا أقبل منهم هذا.

* هل أوضح أحدهم نظرته الي القوى السياسية الأخرى فى مصر، الى الماركسيين والقوميين وغيرهم؟

- فى هذه الأمور ينصحوننا بأن نقبل الكل، لانهم أبناء مجتمع ديمقراطى.

* * *

ثلاثة اجتماعات

=======

هذا الحوار الذى أجرته مجلة (الوسط) مع مأمون الهضيبى يجرنا - بالضرورة - الى ما دار فى الاجتماعات الثلاثة بين الجماعة الاسلامية» وديبلوماسيين فى السفارة الأميركية بالقاهرة يقول مسؤول المخابرات المركزية الأميركية السابق كانيسترارو «بالطبع لم يكن المصريون المشاركون فى هذه الاجتماعات يطلعون السفارة الأميركية على خطط الجماعات الاسلامية المعادية للحكومة، أويكشفون أية أسرار أمنية، بل كانت الحوارات معهم سياسية- فكرية عامة».

ويكشف القادى الشاب فى صفوف الحركة الاسلامية منتصر الزيات وقائع ماجرى فى الحوارات مع مسؤولين فى السفارة الأمريكية

ويقـول ان مسـئولاً فى السـفارة الأمـريكية بادر بالاتصـال به، وطلب موعـداً لحوار حول الحركـة الاسلاميـة، وفى الموعد المحدد جاء ومـعه موظف آخـر، والاثنان يجيدان اللغة العـربية، ويبدو أن أحدهمـا كان يحمل ملفاً سجل فيه أسئلة هى التى دار حولها الحوار، وتشمل منهجنا وطموحاتـنا واسلوبنا فى الوصول الى الحكم، ثم أسئلة حول عـلاقاتنا بالغرب اذا وصلنا الى الحكم، علاقاتنا مع الأقبـاط فى مصر، وموقفنا من الديمقراطية وتداول السلطة والتعددية الحـزبية، ثم سؤال عما اذا كنا نوافق على تولية قـبطى منصب رئيس الجمهـورية، واستفسـارات حول أسبـاب لجوئنا للعنف، وقتل بعض ضـباط الشرطة وقـتل الكاتب فرج فوده، ثـم محـاولة لالقاء الضـوء على الانتهـاكات التى يتـعرض لـها المعتقلون الاسلاميون فى السجون.

ويقول الزيات : لقد وجهت للمسئولين الأمريكيين سؤالاً عما اذا كانا أخطرا السلطـات المصرية بهذا الحـوار فأكدا أنهمـا فعلا، وحـصلا على موافـقة، وبدأ الحوار بكلـمة أكدت فـيها على انه لاتوجـد عداوة مسبـقة بين الحركة الاسـلامية والولايات المتحدة الأمـريكية، وانه يمكن التعايش فى عـالم واحد على قاعدة التكافـؤ، وهذا يعنى بالضرورة ان تكف الولايات المتحـدة عن سياسـة التدخل فى شؤون العـالم الثالث، واذا كان لهـا أن تتدخل فعليـها أن تحمـل الحكومات على عدم انتـهاك ميثاق حـقوق الانسان، وعدم تزوير الانتخابات، أو تعـذيب المعتقلين، وشرحت لهـما كيف ان الولايات المتـحدة ظلت تؤيد الشاه حـتى بعد

سقـوطه، كما ظلت تؤيد الرئيس السـودانى الأسبق جعفـر نميرى رغم التظاهرات الشعبـية اليومية ضده، وكيف ان الولايـات المتحدة والغرب بصفة عـامة دعم السلطات العسكرية فى الجزائر ضد نتـائج الانتخابات التشريعية.

*** وماذا كان رد المسئولين الأمريكيين؟**

يقول المحـامى منتصر الزيات : قـال أحدهما ان حكومـة كلينتون (كان بيل كلينتـون قد فاز فى الانتـخابات الرئاسيـة ضد بوش لكنه لم يكن تسلم السلطة وقت جـرى الحوار بين ممثلى الجـماعـة الاسلامـية، والمسؤولين الأمريـكيين) معنية بتحـقيق الحرية لشعوب العـالم الثالث، فقلت له : مايعنينا فى هذا الأمر هو أن لاتتدخل حكومته فى شؤوننا.

* * *

اسلوب الحكم

=======

* وماذا كان ردكم على سؤال الديمقراطية واسلوب الحكم ؟

يقـول الزيات ؟: قلنا ان أى شكل للحكم نحن مـوافـقون عليـه شريطة أن يعلن التزامه تطبيق الشريعة الاسلامية فنحن نوافق على النظام الرئاسى أو النظام البرلمانى كـما نوافق على الانتخابات بالاقتـراع المباشر أوغيـر المباشر، فهـذه مسائل تفـصيلية فى بلادنا صـادراً عن منطلقات اسلاميـة، وقلنا اننا لانسعى الى ايجاد حكومة دينية أوثيـوقراطية، وانما

نريد حكومة تطبق الاسلام شرعاً واسلوباً.

*** وماذا بشأن الأقباط ؟**

.. شرحنا لهم الرؤية الاسلامية الصحيحة لحقوق وواجبات أهل الذمة فى المجتمع الاسلامى، وهى حقوق تفوق ماتحصل اليه أى أقلية فى العالم بما فى ذلك الأقليات الموجودة فى أمريكا، وباستثناء تولى قبطى لمنصب رئيس الجمهورية، فان لهم كل الحقوق وعليهم أيضاً واجبات.

*** والعنف وحقوق الانسان ؟**

.. وقدمنا شرحاً موجزاً أكدنا فيه ان نظام الرئيس حسنى مبارك جرب معنا اسلوباً جديداً خلال الفترة من بداية ٨٥ حتى منتصف ١٩٨٦ أى حوالى عام ونصف العام سمح لنا فيها بحرية التعبير، ومنع عملية الاعتقالات، وبالنسبة لى كمحامى لكم أزر السجون ربما لأول مرة بالراحة فى الدعوة الاسلامية، وقد تصادف ان وزير الداخلية وقتها كان اللواء أحمد رشدى، ويخطئ من يظن أن أحمد رشدى هو الذى منع الاعتقالات والتعذيب، لقد كان هناك توجهاً من النظام بعدم تصعيد المواجهة مع الحركة الاسلامية، ومن جهتنا لم نمارس أى حالات عنف، وتركزت جهودنا على الدعوة، والانتشار، واكتساب أنصار، ويبدو أن أهل الحكم استشعروا خطراً من هذا المنهج، وشعروا بأننا ننتشر، وان دعوتنا تلقى استجابة فى الجامعات والنقابات، فعادت مرة

أخرى الى اسلوب العنف، اننى زتذكر يوم استضفت الدكتور عمر عبد الرحـمن لالقاء مـحاضـرة فى مسـجد فى بلدتى بأسـوان، يومهـا تم الاعتـداء على من كانوا فى المسجـد، وألقيت القنابل المسـيلة للدموع، وتم فض الاجتماع بالقوة، وقد تكرر عـملية اللاعتداء على اخواننا فى المساجد، أى سلبت منا المنابر التى كنا نعتليـها كدعاة، وبدأت عمليات اعتقال واسعة النطاق، وتطور الأمر الى حد اغتيال بعض قادة (الجماعة الاسلامية) مثل ماجد العطيفى الذى لقى مصرعه فى شارع الجلاء، ولم يكن مسلحاً، وكذلك عملية اغتـيال علاء محيى الدين فى الهرم، وجاء الرد بسرعـة بمحاولة اغـتيال وزير الداخـلية اللواء محـمد عـبد الحليم موسى، لكن تصـادف مرور موكب رئيس البرلمان د.رفـعت المحجوب فقتل، ومنذ ذلك الحين تصاعدت عمليات العنف، فالنظام هو الذى بدأ عمليات العنف، و«الجـماعة الاسلاميـة» اعتبرت نفسهـا فى حالة دفاع شرعى.

*** كم مرة تم اللقاء والحوار ؟**

.. ثلاث مرات.

*** هل كان هناك تسجيل لهذه اللقاءات ؟**

.. كان المسـئولان الأمريكيان يـسجلان ملاحظات وعـبارات فى أوراقهما، لكننا من جانبنا لم نكن نسجل.

* * *

نظام عالمى جديد

=======

* كيف فسرتم حرص الأمـريكيين على اجراء اتصالات وحوارات معكم؟

.. ورد الى ذهننا احتمال أن تكون الادارة الأمريكية وهى تتحدث باسم نظام عـالمى جـديد، تطمح الى تبنى سـياسـات غـير عنصـرية، وتسـعى الى تفهم دوافع الحـركات المناهضـة فى العالم الثـالث، لكن جاءت النتيجة مخيبة للآمال. فقد سرب الأمريكيون عمداً أنباء عن هذه الاتصالات، ثم نفوها، وقد التزمنا الصمت لبعض الوقت ثم أكدنا انها تمت بالفعل.

* هل وردت أسئلة حول اسرائيل ونظرتكم لها؟

.. نعم، سـألونا عن اسـرائيل فقلنـا انها هى العـدو الحـقيـقى للفلسطينيين والعرب، وانها تسعى للسيطرة على العالم العربى، وتتمتع بدعم أمـريكى واسع النطاق. وان اسـرائيل لاتريد السـلام العـادل مع العرب، انما تريد فـرض السلام بالشروط الاسرائيليـة والامارست القوة والعدوان.

* هل جرت اتصالات مع أطراف غربية أخرى غير أمريكية؟

.. نعم، جرت حـوار مع مسـؤولين فرنسيين فى القـاهرة لكنهم

أفضل من الأمريكيين لسببين أولهما أنهم لم يوظفوا هذه الاتصالات فى أغراض سياسية، ولم يسربوا أخبارها الى وسائل الاعلام ثم يتنكروا لها على الطريقة الأمريكية.

* وما هو تفسيركم لتسريب المسؤولين الأمريكيين لأنباء عن هذه الاتصالات ثم التنكر لها ؟

.. بعد حادث تفجير المركز التجارى الأمريكى نشرت بعض الصحف الأمريكية أنباء هذه الاتصالات، ثم انبرى أكثر من مسؤول أمريكى لنفيها، ولست أجد تفسيراً لهذا التناقض سوى الطبيعة الأمريكية التى تغلب المصالح على الحقائق.

* * *

درس ايران

=======

الى هنا انتهي الحوار.. وبقى السؤال، ما هى الدوافع الحقيقية وراء قيام مسؤولين أمريكيين باجراء اتصالات مع ممثلى «الجماعة الاسلامية» التى تعتبرها الحكومة المصرية من ألد أعدائها؟

وهل تتعارض مثل هذه الاتصالات مع الشعارات الأمريكية المعادية لأى حركات سياسية تتبنى العنف المسلح اسلوباً؟

اننا فى الواقع ازاء دوافع رئيسية، دافع سياسى وآخر زمنى،

وثالث استراتيجى.

لقد سعت الادارة الأمريكية الى الاستفادة من درس ايران، والذى تمثل فى غياب معلومات حقيقية عن قوة أطراف الصراع السياسى : الشاه من جهة، والخمينى من جهة أخرى، كما تمثل الدرس قاسياً فى غياب جسور للتفاهم عندما احتدمت مشكلة الرهاذن الأمريكيين الذين احتجزهم رجال الحرس الثورى الايرانى فى مقر السفارة الأمريكية بطهران، فلم تجد الادارة الأمريكية وسيلة للتفاعل مع الأزمة سوى محاولة انزال كوماندوز لتخليص الرهائن، وهى المحاولة التى انتهت بفضيحة، كانت السبب الرئيسى فى سقوط الرئيس الأمريكى جيمى كارتر فى الانتخابات الرئاسية.

على ان أخطر ما لقنته التجربة الايرانية للإدارة الأمريكية هو ان «المواقف الأولى تساهم الى حد بعيد فى رسم السياسات لمدى أطول» فالموقف العدائى الثي اتخذته الادارة الأمريكية ضد الثورة الاسلامية فى ايران، حال دون نجاح محاولات عديدة لـ(تطبيع) العلاقات بينهما خلال عقد الثمانينات، وفيما اعتبرت ايران ان أمريكا هى «الشيطان الأكبر» فان أمريكا راحت تروج لمقولة ان ايران تصدر نموذجها الثورى مقترناً بالارهاب.

وفى هذا الاطار يمكن فهم الدوافع السياسية الأمريكية من وراء الاتصالات والحوار مع الناشطين فى الحركة الاسلامية بشقيها، المعتدلة والمتشددة، فاستطلاع النوايا يمكن اعتباره أحد أهم الأهداف، كما ان

تأمين الجانب، بمعنى الحرص على أن لاتقوم الجماعات الاسلامية المتشددة بعمليات عنف ضد المصالح والمنشآت والرعايا الزمريكيين يعتبر دافعاً لايقل أهمية عن دوافع أخرى استراتيچية من نوع معرفة قدرة الجماعات الاسلامية على تحريك الواقع السياسى فى مصر فى اتجاه السلطة، واذا كان الاسلاميون فى الجزائر كادوا يصلون الى السلطة عن طريق البرلمان، فانه من الضرورى معرفة أى الطرق سوف تسلكها الجماعات الإسلامية فى مصر، خصوصاً وان نموذجاً مغايراً للنموذج الجزائرى جرى فى السودان عندما تمكن الاسلاميون من التحالف مع سلطة العسكر التى كانت أطاحت بالحكومة الديمقراطية فى يونيو ١٩٨٩، وصارت الجبهة القومية الاسلامية بزعامة الشيخ حسن الترابى هى الرقم الصعب فى المعادلة السياسية فى السودان، ويلاحظ هنا ان الحكومة الأمريكية التى أدانت المسلك السودانى الداعم للحركات الاسلامية العربية، هى نفسها - أى الحكومة الأمريكية - التى استقبلت الشيخ حسن الترابى فى الكونغرس بواشنطن حيث تحدث عن قضايا عديدة لها علاقة بالشأن العربى والاسلام.

ومن منطلق الرغبة فى فرض الهيمنة الاستراتيچية على المنطقة . تحركت الادارة الأمريكية لاستطلاع الساحة العربية لرصد الحراك الاسلامى فى اتجاه مواقع السلطة والقرار، مستندة الى دوافع عقيدية، وأخرى استراتيچية ترى الاسلام والمسلمين هم العدو المستقبلى لحضارة الغرب.

لا إعــتراف

=======

ويتفق عدد من الخبراء الأمـريكيين فى شئون الشرق الأوسط على القول أن عقد اجتـماعات مع عناصر من الجماعات الاسـلامية المتشددة فى مصر يعنـى أن الولايات المتحدة تنظر الى هذه الجمـاعات على أنها «قوة سياسية مهمة لامفر من أخذ رأيها فى الاعتبار».

ويعـيد هؤلاء الخـبـراء الى الأذهان قصـة ديبلومـاسيين ورجـال مخابرات أمـريكيين كانوا منذ مطلع السبعينات يجـرون اتصالات سرية مع منظمة التحرير الفلسطينيـة فى بيروت وعواصم أخرى، وظلت ههذ الاتصالات مستمرة حتى قـيام حوار رسمى بين المنظمة والويات المتحدة فى نهاية عام ١٩٨٨، ومن المؤكد أن هذه الاتصالات ساهمت الى حد بعيد فى صياغة القرار الأمريكى تجاه منظمة التحرير الفلسطينية مشفوعاً بمعلومات دقـيقـة، ومن مصادرها، وفى هذا السـياق أيضـاً يمكن فهم الدوافع الأمريكية من الاتصـال بمثلى الجماعة الاسلامـية المتشددة فى مصر.

* * *

الترابى فى واشنطن

=======

وكانت الادارة الأمريكية هى التى استـضافت الشيخ حسن الترابى فى لقاءات مع أعضاء فى الكونجرس وكـانت هناك خمس قضايا حاوره فيها، واتخذت شكل الأسئلة التالية :

* هل تريد الحركـات الاسلامـية المتطرفة الوصـول الى الحكم فى دولها عن طريق العنف والقوة أم بالوسائل السليمة والسياسية؟

* ما هى عـلاقة هذه الحركات بايران، وهـل هناك تنظيم اسلامى واحد يوجه ويحرك هذه الحركات الموجودة فى المنطقة العربية؟

* ما هو موقف الحركات الاسلامية من اسرائيل؟

* هل تريد هذه الحركات الاضرار بالمصالح الأمريكية؟

* مـا هو الدور الذى تلعـبه السـودان فى تأييـد ودعم الحركـات الاسلامية فى مصر وتونس والجزائر؟

ويبدو واضـحاً من مـحضـر الشهادة الـتى أدلى بها التـرابى أمام الكونجرش، والمناقشات التى جرت خلال الجلسة نفسها مع بعض النواب الزمريكيين أن هناك اهتمـاماً أمريكياً واضحاً بهـذه القضايا التى تمثل فى الوقت نفسه محاور اهتمـام بعض الحكومات العربية ذات الصلة الوثيقة بالولايات المتحدة، وعلى خط عدائى مع الجماعات الاسلامية.

هـوامــــش

=======

١ - نقلاً عن مجلة (الوسط) فى

٢ - من حوار مع المؤلف

٣ - حوار أجراه الدكتور عمرو عبد السميع، نشر بمجلة «الوسط» فى

المواجهة

* ماذا عن المستقبل ؟

* هل ان الصراع حتمى بين الجماعات الاسلامية التى توصف بـ«المتشددة» أو«الراديكالية» وبين الولايات المتحدة الأمريكية. . أم ان لقاء سوف يحدث فى منتصف الطريق يستفيد فيه كل طرف من الآخر على النحو الذى جرى من قبل فى أفغانستان؟

أهمية هذه الأسئلة تكمن فى باطن المتغيرات الدولية التى جرت، وسوف ترسم الى حد بعيد صورة المستقبل.

فالعدو الاستراتيجى الذى كان يجمع الطرفين، أى الشيوعية غاب، وحدث تغير هام هو ان فريقاً كبيراً من صناع القرار فى الادارة الأمريكية يعتبرون ان الاسلام هو العدو الاستراتيجى الجديد للحضارة الغربية، ومن ثم وجب اتخاذ مواقف عدائية تجاهه.

وفى المقابل فان فريقاً كبيراً من قادة الجماعات الاسلامية المصرية والعربية ينظرون بريبة لها مايبررها تجاه السلوك الأمريكى الداعم لحكومات تعتبر فى عرف وأفكار الجماعات الاسلامية «حكومات كافرة» بالمعنى الدينى، أوتوقراطية «استبدادية» بالمعنى السياسى.

ويلتقى الفريقان الكبيران فى ساحة العداء والصراع ويسعى كل طرف الى توظيف ما لديه من أدوات وامكانات أو لدى الآخر بهدف القضاء عليه فى صراع استراتيجى طويل الأمد، متنوع التكتيكات.

وما يعمق هذه الرؤية الصراعية هو طبيعة الشعارات الكونية التى

يرفعها كل طرف، فـالجماعات الاسلامية أعطت نفـسها حق الدفاع عن الدين الاسلامى فـى مواجهـة قوى محليـة وخارجـية تعتـبرها مـعادية للإسلام عقـيدة أو سلوك، وبطبيعـة الحال فان الاسلام رسـالة عالمية، تتجـاوز حدود الجغرافـيا، والزمان، وهى رسـالة لكل البشر باخـتلاف جنسياتهم وقوميـاتهم وثقافاتهم، وفى المقابل تعتبر أمريـكا نفسها حاملة لواء رسالة عالمية فيها ما هو دينى، وما هو سياسى وأخلاقى .

* * *

أنبياء أمريكا

=======

فمن جـورج واشنطن الى توماس بين الى بنيـامين فرانكلن تـؤكد الأساطير المؤسسة للأمة الزمريكية على أن أمريكا هى «القدس الجديدة» وأن «العناية الالهية هى التى اختارتها لتكون المسرح الذى يتعين فيه على الانسان أن يبلغ الى كـيانه الحقيقـى، المسرح الذى يتعين أن يتفـتح فيه العلم والفضيلة والحرية والسعادة والمجد فى ظل السلام[1].

وقـــد صــاغ جـــون ادامـز الرئيــس الثـانى لـلولايات المتـحـــدة (١٧٩٧-١٨٠١) فى وقت مـبكر المؤدى التـدخلى للنزعـة الرسـوليـة الأمريكيـة فى هذه العبارة شـبه التوراتـية «ان قدر جـمهوريتنا، النقـية والفاضلة، هو زن تحكم الكرة الأرضية وتدخل اليها كمال الانسان.

وقد تبنى الرؤساء المحدثون للولايات المتحدة هذه النزعة التدخلية،

فالرئيس كنيـدى يقول : «ان الأميـركان هم الحراس على أسـوار حرية العالم» وقـال الرئيس كارتر بدوره : «أن الزعامة العـالمية التى آلت الى الولايات المتحدة يـجب أن تؤسس بصلابة على احترام العـالم واعجابه بالمزايا الرفيعة لأمتنا، الدليل الهادئ فى مملكة الأفكار والروح».

وبطبـيعـة الحال فـقط ظهـر فى أمريكا منـظروها من «أنبيـاء هذا الزمان» مثل البـروفيسور بريزنسكى الذى وصف فى كـتابه عن «الثورة التكسترونية» أمـريكا بأنها «المجتمع الذى يتواصل أكثـر من أى مجتمع آخر مع العالم قاطبة» وهى «المجتمع الشمولى الأول فى التاريخ، فهى مجـتمع يصعب أكثـر فأكثر تعـريفه بدالة حدوده الثقـافية والاقتـصادية والخارجية.

ولايخفى بريزنسكى ان العالم كله هو مسرح أمريكى ويقول : فان تكن رسالة أمريكا الى العالم هى الديمقراطية، فان الديمقراطية يجب أن تكون دوماً فاتحة لنصائح واستلهامات تأتى من أمريكا[٢].

على هذا الـنحـو نحن أمـــام رســالـتين عـالميـــتين، إحـداهـمـا (الاسلام)ربانيـة، والزخرى (النموذج الأمريكى) دنيـوية. ونحن أيضاً أمام قوتين، قـوة المستضعفين فى الأرض، وقـوة المتكبرين فى الأرض، والقوتان تشهدان صحوة تتفاوت فى ملامـحها، واسلوب التعبير عنها، بل والقوى التى تتصدر الدفاع عن الرسالة.

من هنا فـان السؤال المطروح على النخـبة الحـاكمـة والمثقـفة فى

أمريكا هو : ماذا يحدث اذا تمكنت الجماعات الاسلامية الراديكالية من الصولو الى الحكم فى عدد من الأقطار العربية المحورية أو كل الأقطار العربية؟

هل ستخوض هذه الدول العربية - الاسلامية حرباً ضروساً ضد الهيمنة الأمريكية؟

هل ستبدأ زحفها بوازع دينى تجاه دول الغرب (لأسلمتها) وفتحها على غرار ماجرى قبل ١٤ قرناً؟

أم أن هناك مايمكن أن يخلق مساحات من التعايش بين وطن عربى تقوه جماعات إسلامية راديكالية، والولايات المتحدة الأمريكية؟

هل هناك مصالح مشتركة.. وما هى هذه المصالح؟ ان زهمية طرح هذه الأسئلة يعود الى أن تصورات المستقبل تحدد الى حد بعيد سيناريوهات التعامل مع الواقع الراهن، كما ان شواهد الواقع الراهن تساهم - الي حد بعيد - فى رسم تصورات ومن ثم خطوات التعامل المستقبلى.

* * *

تجربة الجزائر

=======

وفى الواقع العربى ثلاث تجارب يمكن أن نستنبط منها ثلاثة قوانين تحكم العلاقة بين الدول العربية الاسلامية والولايات المتحدة الأمريكية.

هناك تجربة ايران التى وقفت أمريكا منها موقفاً معادياً على طول الخط، وبادلتها ايران نفس الموقف فحدثت القطيعة الكاملة.

وهناك تجربة السودان، وهى بلد عربى فقير وصل فيها الاسلاميون الى قمة السلطة عبر تحالف الجبهة القومية الاسلامية مع العسكريين، وسعت الى تطبيق نموذج مستقل فى القرار والادارة بعيداً عن الهيمنة الأمريكية، لكنها وجدت نفسها محرومة من (العطف الأمريكى) مدرجة بقرار من الكونجرس على قائمة الدول المساندة للإرهاب، وأغلقت أمريكا أمامها كل أبواب مؤسسات التمويل الدولى.

وتبقى تجربة الجزائر التى خاض فيها الاسلاميون الراديكاليون تجربة الانتخابات الديمقراطية على النمط الغربى الأمريكى، لكن التجربة أحبطت بدبابات العسكر المدعومة بالسياسة والاعلام الأمريكيين، وانحازت أمريكا التى تزعم الدفاع عن رسالة الحرية والديمقراطية فى العالم الى سياسة الدبابات والمعتقلات، ومصادرة صناديق الانتخابات طالما ان هذا الاسلوب يمنع الاسلاميين من الوصول الى السلطة.

هذه التجارب الواقعية الثلاث تفيد حقيقة أولى هى أن أمريكا تقبل بل تتحمس وتدعم وجود الشاه ونميرى وعسكر الجزائر، ولاتقبل وجود الاسلاميين الراديكاليين فى السلطة، حتى وان سعى الاسلاميون الى فتح صفحة بيضاء لتعاون مشترك قائم على الاحترام المتبادل.

* * *

=======

وهذه التجارب اللواقعية الثلاث تفيد حقيقة ثانية هى أن أمريكا تعارض أى نظام إستقلالى، تنموى مهما كان لونه أو هويته، فقد عارضت أمريكا ثورة الشعب الايرانى ضد الشاه التى قادها الزعيم اليسارى مصدق فى عام ١٩٥٣، ونظمت المخابرات المركزية الأمريكية انقلاباً ضده، وعارضت وقاومت بكل قوة نظام عبد الناصر العروبى القومى المستقل فى الخمسينات والستينات، وتآمرت عليه بواسطة اسرائيل وألحقت به هزيمة قاسية في عام ١٩٦٧، كما عارضت وحاصرت نظماً ليبرالية بل ملكية مثل الأردن لمجرد انها اتخذت موقفاً مغايراً للموقف الأمريكى من أزمة الخليج الثانية (صيف ٩٠)، ويعنى هذا بوضوح ان الرسالة العالمية التى تسعى أمريكا لفرضها على الكون، وخصوصاً فى العالم الثالث هى رسالة (الهيمنة).

وتبقى الحقيقة الثالثة وهى ان الجماعات الاسلامية الراديكالية التى تمكنت من الوصول الى السلطة فى ايران والسودان، والتى كادت أن تصل فى الجزائر هى قوى استقلالية، ترفض التبعية، ولاتقبل الهيمنة، ولايعنى هذا بالضرورة إنغلامتها لى الذات، قدر بحثها عن علاقات متكافئة، وفي الواقع ان هذا الموقف الاستقلالى ميز الخطاب السياسى للجماعات الاسلامية المعتدلة أيضاً، فالاخوان المسلمون فى مصر اتخذوا موقفاً مغايراً للموقف الأمريكى سواء بالنسبة لأزمة الخليج الثانية،

أولمشروع التسويق الأمريكى - الاسرائيلى للصراع العربى الصهيونى، وينطبق هذا الموقف أيضاً على الاخوان المسلمين فى الأردن.

* * *

التعايش والصراع

=======

ورغم هذه التجارب وما أفرزته من حقائق الا أن هناك بين قادجة ومنظرى الحركات الاسلامية من يرى امكانية (التعايش) مع الولايات المتحدة الأمريكية، وهناك بين مفكرى الغرب (الولايات المتحدة) من يرى مصالح مشتركة، ومبادئ يمكن أن تجمع النقيضين.

ونبدأ بالمفكر الجزائرى المعروف مالك بن بنى فى كتابه (شروط النهضة) وهو يقول : اننا نحب أن نرى القوى الغربية ترحب بالصحوة الاسلامية ليس كخطر عليها، ولكن كنهضة لمئات الملايين من الناس الذين سيسهمون بمجهوداتهم الأخلاقية والفكرية لصالح الانسانية.

ويدعو الدكتور يوسف القرضاوى الى فتح حوار مع الغرب، باعتبار ان هذا الحوار مع الغرب فريضة وضرورة لنا، حتى يفهم ماذا نريد لأنفسنا وللناس، وأننا أصحاب دعوة لاطلاب غنيمة، ورسل رحمة لانذر نقمة، ودعاة سلام لا أبواق حرب، وأنصار حق وعدل لأعوان باطل وظلم، وأن مهمتنا أن نأخذ بيد الانسانية الحائرة الى هداية الله، وأن نصل الأرض بالسماء، والدنيا بالآخرة، والانسان

بأخيه الانسان، حتى يحب كل امرئ لأخيه مايحب لنفسه، ويكره له مايكره لنفسه، وحتى تبدأ البشرية من داء الأمم : الحسد والرمضاء[٣].

ويطالب القرضاوى بأن يتسع الحوار مع الغرب ليشمل ما هو دينى وسياسى وفكرى، ولايجد - القرضاوى - بأساً فى التعامل مع الغربيين بمنطقهم المصلحى المعروف، حيث يعتقد أن مصلحة الغرب ألا يعادى ألف مليون مسلم، بل السعى الى كسب ودهم واحترامهم وثقتهم، ويرى ان هذا الحوار - طويل النفس والقائم على المكاشفة والاستقامة والصرامة - لابد أن يزيل الأوهام المستقرة فى عقول الغرب عن الاسلام والمسلمين، ويعقب بالقول : اننا اذا أقنعنا قادة الغرب والمؤثرين فى سياسته بحقنا فى أن نعيش بإسلامنا : توجهنا عقيدته، وتحكمنا شريعته وتقونا قيمه وأخلاقه، دون أن نبغى عليهم، أو نضمر لهم سوءاً، نكون قد قطعنا شوطاً كبيراً فى سبيل الوصول الى هدفنا فى اقامة المجتمع المسلم الذى ننشده لأوطاننا[٤].

* * *

خوذة أمريكا

=======

ويقول المفكر الاسلامى أحمد بن يوسف :

ان نظرة الاسلاميين للغرب تنطلق من كونهم أصحاب رسالة عالمية لم تأت للعرب وحدهم - وإن تشرفوا بحملها - وإنما جاءت للعالمين،

لذلك فالغرب بالنسبة لهم بمثابة مساحة جغرافية وانسانية يجب أن تبلغها رسالة السماء، ولكن بالحكمة والموعظة الحسنة.. فهم يتطلعون لهذه المساحة بعقلية استثمارية وليست استعمارية، عقلية تبادل المصالح والمنافع فى ان واحد، فالغرب عند التكنولوچيا وأسرار التطور، والمسلمون لديهم نظريات وأخلاقيات، وكلاهما مطلوب للآخر ولاغنى عنه[٥].

ويعود أحمد بن يوسف ليؤكد :

ان الغرب اذا نزع خوذته الاستعمارية فهو - كحضارة - لايمثل عدواً لنا، بل هناك مساحة للتعايش وابلاغ الدعوة.

لقد كان رد الفعل السلبى - ولازال - للنموذج الغربي للديمقراطية، والنظام البرلمانى فى الحكم جزءاً من الرفض العام للنفوذ الاستعمارى الأوروبى، ودفاعاً عن الاسلام ضد المزيد من التبعية للغرب، أكثر من كونه رفضاً كاملاً للديمقراطية.

من هنا يبدو الخطاب الاسلامى المعاصر ، لاسيما لدى الجماعات الاسلامية المعتدلة مرناً، ومنفتحاً ومتطلعاً الى التعاون والتقارب مع بعض المفاهيم الغربية التى لاتصطدم مع قواعد الدين، ويمكن الاشارة الى مواقف الاخوان المسلمين في مصر والأردن ولبنان والكويت من حيث تقبلهم للعمل السياسى من خلال المشاركة فى الانتخابات النقابية والتشريعية ودخول البرلمان.

الاسلاميون والديمقراطية

=======

ان الاسلاميين المعاصرين لايجدون تعارضاً بين مفهومى (الديمقراطية) و(الشورى) باعتبارهما يرميان الى فكرة التمثيل الانتخابى، فالاسلام يمتلك القدرة على توظيف واستيعاب الصيغة الديمقراطية بالطريقة التى يكون فيها حكم الشعب مقيداً زو يكون موجهاً بالقانون الالهى(٦).

ويفسر الدكتور محمد عمارة هذا المعنى بقوله : إن الديمقراطية فى نموذجها الليبرالى الغربى تعطى كل السيادة للأمة، حتى انها تستطيع بواسطة ممثليها أن تحل الحرام الدينى وتحرم الحلال الدينى. هذه الجزئية فقط، بل الاسلام نفسه يتحفظ عليها، فى الديمقراطية الغربية هناك مرجعية تعلو سلطة الأمة يسمونها أحياناً القانون الطبيعى، ونحن نضع الشريعة الاسلامية مكان القانون الطبيعى، هناك حاكمية اليهية هى مرجعية سلطة الأمة، اذن الديمقراطية فى مفهوم الاسلام والاسلاميين تعطى كل السلطة للأمة، بشرط أن لا تحل حراماً أو تحرم حلالاً»(٧).

ويحلل المنظر الأيديولوجى الاسلامى راشد الغنوشى موقف الحركات الاسلامية من مفهوم الديمراطية، والتعددية السياسية بقوله : نحن ندعو ليس الى حريتنا فقط كحركة اسلامية، وانما ندعو الى حرية الجميع، حرية كل التونسيين، وعلي المستوي العالمى ندعو لحرية التعدد

الحضارى، وندعو الى عـالم لانعتقد أن له مستـقبلاً ممكناً الا الانطلاق من أن هناك مـصـيـراً واحـداً للعالـم، ان الكرة الأرضـية صـغـرت، ولامناص لنا من التفكيـر بمستوى انسانى عالمى، وعـلى المستوى المحلى لامناص لنا من ديمقراطيـة بلا اقصاء، والديمقـراطية اعتراف بالجـميع، الديمقراطيـة مساواة وتداول على السلطة واشتـراك فى الثورة، واطلاق لحق المبادرة الاقتصادية وحق الشعب فى أن يختار بين مختلف المشاريع دون أى وصاية، وبين كل الرجـال بدون اقصاء، الديمقراطيـة ليست أن تخـتار مـعارضـيك، ورنما أن تروض نفسك على الحـوار والتفـاهم مع الاخر».

ويربط الغنوشى بين الديمقراطية والشورى ويقول :

الديمقراطية كـالشورى ليست مجرد اسلوب في الحكم للتعـبير عن ارادة الأغلبية أو الاجماع، ورنما أيضاً منهاج فى التربية وعلاج للتطرف بالحـوار، والدفع الى التـعبـيـر بالحبـر لابالدم، واللجـوء الى صناديق الاقتراع بدل صناديق الذخيرة، وذلك هو نداء الاسلام الخالد للإنسانية أن تتعارف وتتعاون «يا أيهـا الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا».

* * *

تحدى الصديق

=======

ويتفاءل مفكر اسلامى آخر هو محمد الفاروقى ويقول :

لاشك أن هناك مشاكل كثيرة عالقة منذ عهود الاستعمار بين الاسلام والغرب، وبالتالى بين الاسلاميين والغرب، وهذه المشاكل لايمكن بحال تجاهلها، بل يتوجب البحث عن حل عادل لها، اذا ما أراد الاسلاميون بناء علاقات إنسانية، وتقليص حدة العداء القائمة بين الطرفين، ان الناس تختلف مفاهيمهم وانتماءاتهم، ولكن - مع ذلك - تبقى الحاجة قائمة لانصاف الآخر، والتعايش معه حضارياً، انسجاماً مع الفهم الدارج حول عالمية الرسالة الاسلامية. ان الاسلام يمثل بالتأكيد تحدياً للغرب، ولكن هذا التحدى هو تحدى الصديق وليس العدو[٩].

ويحاول مفكر آخر هو يوسف شويرى تحميل الاعلام الغربى تهمة خلق العداء بين الحركات الاسلامية وأمريكا مؤكداً : ان الأصولية الاسلامية بالطريقة التى توحى بها الدلالات الغربية وبعض الكتابات الصحفية الغربية، تمثل تحدياً فاعلاً للحضارة العصرية والكيانات السياسية الغربية، وقد غدت وصفاً ملفتاً للنظر للتعبير عن الأيديولوجيا العسكرية للحركات الاسلامية المعاصرة[١٠].

ويرى آخرون : ان الكثيرين من الحاكمين يجعلون من الاسلام والحركة الاسلامية «فزاعة» للغرب طلباً للدعم والحماية، فكل نظام

عنده من الأسباب الداخلية مايجعله ضعيفاً أمام أية هبة محلية أو اقليمية، فيقوم باصطناع خطر خارجى يهدد به دول الغرب لتعزيز مكانته أمام العالم الاخر، لذلك تلجأ الأنظمة والأحزاب الى عملية تحايل على نفسها والغرب، فتقوم بتدوير المشكلة وإعادة تحويلها الى الخارج ضد عدو وهمى، ومن هو أخطر على الغرب من هذه الفزاعة(١١).

وتستمر الرؤى التبشيرية الصادرة عن قيادات ومفكرين اسلاميين فى النظرة (الطوبارية) لأمريكا، معتقدين انه يمكن التعايش، مع ان هؤلاء يدركون جيداً ان هناك هاجساً يسيطر على العقل الرسمى الأمريكى خشية وقوع ثورة - فى أقطار عربية - مشابهة للنموذج الايرانى.

* * *

مبشرون أمريكيون

=======

وكما هناك دعاة للحوار والتعايش فى صفوف الحركات الاسلامية العربية، هناك أيضاً دعاة فى صفوف النخبة الأمريكية، راحوا يروجون لمثل هذه الدعوات وفى كتابه «الخطر الاسلامى : حقيقة أم أسطورة» يقول المستشرق الأمريكى اسبوسيتو : ان الاسلام ومعظم الحركات الاسلامية ليسوا بالضرورة زعداء للغرب أو الولايات المتحدة أو ضد

الديمقراطيـة، فهم فى نفس الوقت الذى يشكلون في تحدياً للمـسلمات القديمة التى عفى عليها الزمن من زنظمة سائدة، وحكومات أوتوقراطية مسـتبدة، فـانهم لايشكلون بالضرورة تهـديداً للمصالح الأمـريكية، ان التحدى الذى أمـامنا هو أن نفهم تاريخ وحقائـق العالم الاسلامى، ان الاعتـراف بالتنوع والتـعددية يدحض الصـورة التى فى أذهاننا عن خطر احتمالات قيام وحدة اسلامـية كبرى، ويقلل أيضاً من خطر الاستسلام لأفكار خيالية عن معركة بين الغرب والاسلام الراديكالى، وانطلاقاً من مثلنا ومبادئنا المعلنة وزهدافنا من أجل تحقيـق الحرية وتحقيق المصير فان الغرب يمتلك خاصية مثالية توهله للاعتراف بتطلعات الكثيرين فى العالم الاسلامى، وهم يسـعون لاستكشاف ومـعرفة طرق جـديدة تفضى بهم الى المستقبل».

وينصح مفكر أمريكى اخر هو ليون هادر صناع القرار فى الولايات المتحدة بقـوله : ان الخطر على أمريكا ينبع من المفاهيم الخـاطئة سوف تظلل أحكامهم، وتودى بالتـالى الى اتخاذ أحكام عكسية وسلبـية ضد الاسلام والشرق الأوسط، وبدلاً من النظر الى الاسلام باعتبار أنه خطر داهم، فان على المحللين الأمريكيين وصناع القـرار السياسى أن يأخذوا فى الاعتبار أن الاسلام حضارة متنوعة، تحمل فى طياتها وجهات ثقافية وأيديولوجية ودينية وقومية مختلفة.

ويذهب هادر الى أن مـصطلح (الأصولية الاسـلاميـة) السائد فى الكتابات الزمـريكية ينبـغى أن يعدل بحيث يعني الحـركات والجمـاعات

المختلفـة ،التى تنضوى تحت ذلك المصطلح، ويمكننا القـول من حيث المبدأ أنه لا الاسلام ولا الأصولية الاسـلامية فى عداء مع أمريكا، وان المشاعـر المعادية لأمريكا من الجمـاعات الاسلاميـة فى الشرط الأوسط ليست مـوجهة ضـد المسيحـية أو الحضـارة الغربية، ولكنهـا ردود فعل للسياسات الأمريكية المتحيـزة، خاصة تأييد واشنطن للأنظمة الشمولية، وكذلك للتاريخ الطويل للتدخلات العسكرية الأمريكية فى المنطقة.

ويعود المستشرق الأمريكى اسبوسـيتو الى التأكيد على ان القواسم التى تجمع الحـركة الاسلاميـة وأمريكا فى الدفاع عن حقـوق الانسان، والحريات السياسية والتعددية الحزبية ونبذ الارهاب هى أكثر مما يمكن أن تجتمع عليه المصلحة الآنية بين أمريكا ونظم قهرية ديكتاتورية فى الشرق الاسلامى.

* * *

الآب لولون

=======

واستمراراً لنفس المنظور التبشيـرى لامكانية اقامة علاقة حوار بين الاسلاميين والغـربيين، نتوقف عند الآب لولون مؤلف كـتاب «الاسلام والغـرب» وفيه يتـهم المؤلف مـثقفى الـغرب بالجهـل بحقائـق الاسلام العـقيـدية، ويدعو الى انفـتاح شـجـاع خال من العـقد على الثـقافـة الاسلامية، هذا الانفتاح الذى جعل الآب لولون يتحدث عن «اعجابه»

و«حبه» للإسلام ويكتشف حاجته اليه، هو الكاثوليكى الغربى حسبما يعترف ويقول : ان تأملى للقرآن والصلات التى تربطنى بأصدقاء من المسلمين قادنى الى هذه القناعة وهى ان الاسلام يمثل في نهاية هذا القرن رسالة نحتاج اليها نحن الغربيين الذين فقدنا الاحساس بالله، بل نحن المسيحيين الذين تأثرنا بالثقافة المعاصرة الى درجة أن ايماننا بالمسيح يوشك أن يقف بنا عن حدود الانسان أكثر مما يتجه بنا نحو الله[١٢].

ولاشك ان الآب لولون يدرك ان مهمة التقريب صعبة وشاقة، وان طريق المصالحة طويل وشائك فالمسألة بالغة التعقيد، وخاصة اذا كان الأمر يتعلق بالحوار بين المسيحية والاسلام أو بين العالم الغربى الذى تتزعمه أمريكا وبين العالم الاسلامى، وذلك ان تاريخ العلاقة بين الطرفين. وإن شهد لحظات من التبادل والتعاون، فقد كان فى مجمله مسرحاً للتنافس والتحدى، والتوتر والصدام، والغلبة والسيطرة، ولذا تبدو نظرة كل طرف للآخر مشحونة بالمخاون والهواجس، مليئة بالأوهام والخيالات التى تضرب بجذورها فى عمق التاريخ.

هكذا فللذاكرة هواجسها، وللتاريخ ترسباته الكثيفة يضاف الى ذلك أنه من الصعب على الغرب الذى كان غالباً ومتفوقاً أن يتقبل فكرة «التحرر الثقافى» الذى تسعى اليه الشعوب التى كانت مغلوبة على أمرها ومقهورة بعد تحررها السياسى.

ويقول الآب لولون فى شكل نصيحة يوجهها لحكام أمريكا وأوروبا : ان الخطوة الأولى على طريق المصالحة الحقيقية بين الجميع

إنما هى هاجس الحقيقة، واذا كان (الأمريكى) مثلاً يخشى الآن الصحوة الاسلامية، فعليه أن ينتبه من غفلته، أى عليه أن يصحو هو نفسه على الحقيقة، حقيقة كون الاسلام شكل فى الأمس ويشكل اليوم «غنى ثقافياً وروحياً كبيراً بالنسبة الى الانسانية» فليست الصحوة اذن صحوة الاسلام وحده، وانما هى صحوة الغرب نفسه على الحقيقة.

* * *

نفاق أمريكى

=======

ان هذه الدعوة المثالية والتبشيرية فى ان واحد تصطدم مع دعاوى أخرى، وها إنا نجد بعد خمس سنوات على صدر كتاب الآب لولون عالماً كبيراً ومفكراً غربياً طبقت شهرته الآفاق، ونعنى ليفى ستراوس نجده يعلن خوفه من الاسلام، وينحاز ضده، مع أن ليفى ستراوس عرف بدعوته الى (تآلف الحضارات).

وليس هناك أدنى شك فى وجود أزمة ثقة لها أسباب عقيدية وتاريخية بين أمريكا والجماعات الاسلامية يلخصها قيادى اسلامى شاب هو منتصر الزيات بقوله : ان أمريكا على استعداد لدعم أى نظام عربى قمعى ومعاد للديمقراطية، ولاترحب بوجود نظام اسلامى الى الحكم حتى وان تم ذلك باسلوب ديمقراطى، وتجربة الجزائر خير شاهد على ذلك.

ويقول راشد الغنوشى : أنظر الى ما تلاقيه الحركة الاسلامية من

ألوان عسف وحشى على يد حكومات قهرية، لاتزال مع ذلك - وربما بسبب ذلك - تتلقى الدعم المادى والمعنوى من غرب يدعى انه كنيسة عالمية للتبشير بالديمقراطية. ألم يمر موكب ميتران فى سيارات مكشوفة مع ديكتاتور تونس أمام جماهير حزينة حشدت حشداً، وعلى جانبى تلك الشوارع تتعالى فى مبانى وزارة الداخلية - على طول البلاد - صراخات وزفرات المؤمنين تحت سياط وآلات قمع مصنوعة ومدعوة من الغرب؟ أو ليس هؤلاء هم حزب الأغلبية الاسلامية فى بلادنا؟ إن كثيراً غيرهم يقبع فى السجن، ويسام الهوان من طرف حكومات عميلة مدعومة من الغرب بحجة محاربة الأصولية، أين مبادئ الديمقراطية وحقوق النسان؟ الغرب ليست له مبادئ، ورنما أطماع وأحقاد ومصالح، وهذه لابد لها من غلاف أيديولوجى لتسويقها وتبريرها.

ويضيف راشد الغنوشى : ان زعماء الحركات الاسلامية ليسوا مخطئين فى اعتبارهم الغرب أكبر التحديات أمام تحقيق الاسلوب الذي يرتضونه كمنهج للحياة يلتزم به أتباعهم. فالغرب وبالتحديد أمريكا ترفض الاعتراف بحقيقة ان آلاف المسلمين يعيشون فى الغرب، ما بين أساتذة جامعات وأطباء ومهندسين، أو رجال أعمال ورؤساء مراكز ومؤسسات اسلامية بل ويتولون بعض المناصب الرفيعة ويشاركون فى المسار الديمقراطى.

ان فى حلق الاسلاميين غصة من النفاق والتناقض الأمريكى الذى يتلاعب بعواطف ومصير الشعوب الاسلامية، وتكشف الباحثة الأمريكية روبن رايت هذه الحقيقة بقولها : ان رسالة واشنطن الحقيقية كانت تظهر انه بالقدر الذى هم فيه يؤيدون الديمقراطية فهم ضد الاسلام».

اسرائيل المستفيد

=======

ويعترف هيرمان ايلتس السفير الأمريكى الأسبق فى مصر، ومدير مركز العلاقات الدولية بجامعة بوسطن حالياً، بأن الاتجاه السائد فى الاعلام الأمريكى هو التضخيم من خطورة الأصولية الاسلامية بدون شرح ما هى، ومساواتها تلقائياً بالارهاب، ويؤكد ايلتس بزن اللوبى الموالى لإسرائيل فى الولايات المتحدة يعمق المخاوف من الأصوليين بالقول بأنهم يعملون ضد مصالح أمريكا واسرائيل.

ويعيد الكاتب فهمى هويدى ما أكده إيلتس قائلاً : بالطبع هناك مستفيد واحد ووحيد، وهى الصهيونية العالمية التى تسيطر على كثير من وسائل الاعلام الغربى من صحافة واذاعة وتليفزيون، وتسخر كل طاقاتها لاستعداد الغرب المسيحي ضد الاسلام حتى تستفيد هى من هذا الصراع.

ويقول ديفيد أنابل عميد كلية الصحافة بجامعة بوسطن :

لا أشك فى أن بعض السياسيين الاسرائيليين والأمريكيين الموالين لاسرائيل يفضلون استخدام الأصولية الاسلامية كوسيلة لدعوة الأمريكيين لتأييد اسرائيل، وهذه حيلة جديدة واضحة، ومن السهل على السياسيين وجماعات الضغط تحقيق أهداف خاصة فى ظل التعامل مع جمهور جاهل جداً(؟؟).

سياسة الوجهين

=======

وفى التحليل الأخير فان الولايات المتحدة فى علاقتها مع الجماعات الاسلامية الراديكالية اتخذت سياسة لها وجهين، فهى تسعى الى اجتذاب أكبر عدد ممكن من القيادات فى صفوف الحركة الاسلامية لكى تكون على اطلاع مستمر على أفكار وتصورات وأساليب هذه الحركات، وفى هذا السياق يأتى الاتصال والحوار مع قيادات شابة في (الجماعة الاسلامية) المصرية وغيرها لتحقيق غرض أساسى هو جمع معلومات عن هذه الحركات، والاطمئنان الى أن أمريكا ليست مندرجة - على الأقل فى الوقت الراهن - على رأس اهتمامات وعداءات الجماعات الاسلامية.

وفى مقابل ذلك، وفي نفس التوقيت فان الادارة الأمريكية حددت موقفها الاستراتيجى من هذه الجماعات بـ(العداء المطل) ليس لانها تمثل على المدى البعيد (البديل الحضارى) لمقومات الحضارة الغربية الحديثة فى نموذجها الأمريكى فحسب، وانما أيضاً لان هذه الجماعات اتخذت مواقف وممارسات مناوئة لحكومات تعتبر (صديقة) للولايات المتحدة الأمريكية، خصوصاً مصر وتونس، بما يعني تعارض صحوة هذه الجماعات وامتداد نفوذها وتأثيرها مع المصالح الأمريكية فى المنطقة، وكان طبيعياً أن تضحى الولايات المتحدة بالمبادئ والشعارات الديمقراطية التى هى سمة أساسية فى خطابها السياسى والأيديولوجى، اذا كانت هذه المادئ، والممارسات الديمقراطية ستؤدى الى صعود

الاسلاميين الى قمة السلطة فى غير بلد عربى، فمن السهل على الادارة الأمريكية أن تنحاز الى سلطة الدبابات مادامت موالية لها، فالحكومات المستبدة - فى كثير من الأحيان - مفضلة عند أمريكا على سلطة شعبية جاءت عبر صناديق الاقتراع لتتخذ مواقف استقلالية.

* * *

شبكة C.N.N

=======

وتبادل الحركات الاسلامية العربية الولايات المتحدة مواقف العداء على المدى الاستراتيجى لأسباب كثيرة سبق ذكرها، لكن سياسة دفن الرأس فى الرمال لاتتفق ومنطق هذه الحركات التى تسعى الى التفاعل مع العصر وخصوصاً ان أغلب قياداتها موجودة فى عواصم غربية، وتعلمت بالتالى (فن الانفتاح على الآخر) وربما فن توظيفه، من هنا ورغم العداء الدينى والحضارى والسياسى، الا ان الجماعات الاسلامية سعت الى توظيف المعطيات الاعلامية التى يوفرها نظام ليبرالى - كأمريكا - يمتلك كل ما أفرزته ثورة الاتصال من أدوات، ولايخفى الشيخ عمر عبد الرحمن انه كان يتمتع بحرية حركة فى المجتمع الأمريكى غير متوفرة له فى بلاده قبل أن يرحل عنها، مؤكداً لصحيفة (عالم اليوم) انه كان محاصراً داخل بيته فى الفيوم، وبفعل ثورة الاتصال وجد الشيخ عمر نفسه يتحدث فى شبكة C.N.N التليفزيونية الأمريكية وان الاعلام الأمريكى الذى يبحث عن كل ما هو مثير يصوره على انه (الخومينى الجديد).

نعيم الغرب

=======

ولم يكن الشيخ عمر عبـد الرحمن وحده الذى سعى الى توظيف ماتملكه أمـريكا من أدوات اتصال واعلام لـ(خـدمة الدعوة الاسلامـية) فالشيخ حسن التـرابى قام بجولة واسعة فى عدة دول غـربية خلال مايو ١٩٩٢، شملت زيارة بريطـانيا والولايات المتحـدة وكندا، كما كـان قد حدث مع مسـؤولين فرنسيين فى الخرطوم، أما راشـد الغنوشى فحصل على لجوء سياسى فى لندن، وحصل أيمن الظواهرى على هذا الحق فى جنيف، بينما يتواجد طلعت فؤاد قـاسم فى الدنمارك وبطبيعة الحال فان النظرة البراجماتية لدى هذه الجماعـات ليست جديدة، فجماعة الاخوان المسلمين كـانت قد اتخذت من العـاصمة الألمـانية بـرلين) مقـراً للتنظيم الدولى للاخوان، وهذا يعكس ادراك هذه الجـماعات لما يوفره المجـتمع الغربى من معطيات، كما يعكس ادراكها لطبيعة وموقع الولايات المتحدة الأمريكيـة كقوة عظمى وحـيدة في العـالم يمكن مخاطبـتها على قـاعدة (المبادئ)، عـلى أمل أن تتخـذ الولايات المتحـدة موقـفاً (محـايداً) فى صراع هذه الجـماعات مع أنـظمة الحكم فى البلاد التى يـنتمون اليـها، حسبما قال المحامى منتصر الزيات.

* * *

=======

معنى هذا ان العداء هو القانون الذى يحكم العلاقة بين الولايات المتحدة والجماعات الاسلامية في المدى الاستراتيجى، وان تبادل المصالح والسعى لتوظيف الآخر هو القانون المرحلى الذى يمكن أن يسمح أيضاً لالتقاء المصالح على النحو الذى حدث فى أفغانستان، حين كان الهدف الأمريكى هو توظيف شباب الجماعات الاسلامية الراديكالية فى معارك ضد الحكم الشيوعى، فيما كان هدف هذه الجماعات هو التدريب على استخدام كافة أنواع الأسلحة فى ساحة يندر أن يتوفر مثلها للتدريب، وبعيداً عن عيون الحكومة المصرية، التى كانت قد غضت الطرف عن الهجرة الجماعية لشباب الجماعات الاسلامية من القاهرة الى بيشاور (الباكستانية) على الحدود الأفغانية، من دون أن تمد البصر الى المخاطر التى ستترتب على هذه الهجرة فى المدى المنظور، فقد عاد بعض شباب هذه الجماعات الاسلامية، وقد اكتسبوا خبرة تدريبية عملية على القتال، وعادوا بعلاقات تنظيمية مع فصائل اسلامية في الخارج، وباختصار عادوا أكثر قدرة مما كانوا عليه يوم رحلوا الى أفغانستان ومثلوا - فيما بعد - تحدياً كبيراً للحكومة المصرية، ويعتقد وليم كوانت الخبير الزمريكى فى شؤون الشرق الأوسط ءنهم سيمثلون خطراً كبيراً فى المستقبل على الولايات المتحدة الأمريكية، وان الصراع آت لاريب فيه.

هـوامـــش

=======

١ - من السيرة الذاتية لجورج واشنطن

٢ - لستـر براون : عـالم بلا حـدود، دار راندوم هاوس، نيـويورك ١٩٧٣، ذكره ايف ود فى (غـزو العقـول) دار ماسبـيرو، باريس ١٩٨٢ .

٣ - يوسف القرضـاوى (أولويات الحركة الاسـلامية للقـون القادم) - القاهرة - ١٩٩١ .

٤ - يوصف القرضاوى - مصدر سابق.

٥ - أحمد بن يوسف - مجلة (منبر الشرق) القاهرة نوفمبر ١٩٩٣ .

٦ - أحمد بن يوسف - مصدر سابق.

٧ - مجلة (الوسط) ١٧ - ٢٣ سبتمبر ١٩٩٣ .

٨ - راشد الغنوشى فى مؤتمر الاسلام والديمقراطيـة فى أفريقيا - يونيو ٩٢ .

٩ - نقلاً عن دراسة لأحمد بن يوسف - مصدر سابق.

١٠- يرجى العودة الى دراسة أحمد بن يوسف - مصدر سابق.

١١- مجلة العالم ١٨/٦/١٩٨٨ .

12 - Michel Lelong - L'islam et L'occident Alibin-Michel - Paris, 82

١٣ - المجـرى الادريس - الدين والسـيـاسـة - صـحـيـفـة (الراية) ٢٧/٦/٩٢ - نقلاً عن أحمد بن يوسف - مصدر سابق.

ايداع رقم ٩٤/٤٤٦٨ دولى رقم ٧ - ٠٠ - ٥٥٦٢ - ٩٧٧

دار الجيل للطباعة